



إدارة التعليلات الثقافية
المكتب رقم (١٩١)

روايات
غصرية
للحبيب

لعنة السوداء

Looloo

١ - مهمة غير عادية ..

توافد المهندسون والفنيون المصريون تباعاً ، على منطقة
مترامية الأطراف ، بإحدى الدول الإفريقية ، للمشاركة في بناء
سد (كاتون) ، وهو المشروع الذي تعاقبت حكومة الدولة
الإفريقية ، مع الحكومة المصرية ، على الإسهام في بنائه ، نظراً
للخبرة الفنية العظيمة ، التي اكتسبها المصريون ، من بناء
أضخم وأعظم السدود في القارة الإفريقية ، ألا وهو السد
العالى ..

ولقد بدأ بناء سد (كاتون) بالفعل منذ ثلاثة أشهر ، مع
وصول ثمانية مهندسين وفنيين مصريين ، وهو يغدو واحداً من أضخم
المشروعات في القارة الإفريقية ، يهدف إلى توفير تلك الكميات
الضخمة من مياه الأمطار الاستوائية ، واستغلالها في توليد
الطاقة الكهربائية ، والنهوض بالزراعة نهضة كبرى ، ولقد كان
اعتماد تلك الدولة الإفريقية على الخبرات المصرية ، دون
الأوروبية أو الأمريكية ، دليلاً على الثقة والتقدير ، اللذين

لكنهما القارة الإفريقية كلها للسحيرات المصرية ، لذا كانت
(مصر) حريصة على إثبات قدرات أبنائها وكفاءتهم ، بقولها
ذلك التحدي ، وإقامة ذلك الصرح ، الذي يعد بداية معركة
التقدم ، التي تنأهب لها القارة السوداء ..

و ذات ليلة ، وبما كان أحد الفتيان المصريين يجول في منطقة
المازل الخشبية ، التي أعدت لسكنى المخبراء المصريين ،
بالقرب من منطقة العمل في سد (كانون) ، لاح له وميض
خاطف من بين الأشجار الاستوائية الكثيفة ، التي تحيط
بالمكان ، ثم لم يلبث أن اختفى ، وعاد يظهر ويختفى عشرات المرات ،
في إيقاع منظم عجيب ، مما أثار فضول المصري ، فاقرب من
منطقة الوميض في خدر ، واختار منطقة الأشجار الكثيفة ، ثم لم
يلبث أن تسر في مكانه ، واتسعت عيناه في ذهول ، وغمر
وجهه ضوء أزرق قوي ..

وهناك .. على بُعد متر واحد منه ، رأت عيناه ماسة زرقاء
ضخمة ، تدور حول نفسها ، وهي معلقة في الهواء ، وتشتع
بذلك الوميض المتلاحق المتتابع ..
حمد الرجل في مكانه مأخوذاً مشدوهاً ، أمام ذلك المشهد
الخارق للمألوف ، ثم لم يلبث أن تراجع في حركة حادة إلى

الخلف ، حينما تحولت الماسة الزرقاء فجأة إلى كرة من اللهب ،
اندفعت نحوه ، وحلقت على قيد شبر واحد من رأسه ، فلانطلق
يعدو عائداً إلى منطقة السكنى في رعب وفزع ، وكرة اللهب
تلاحقه في إصرار مخيف ..

ولفجأة .. اندفعت من بين الأشجار حربة قوية ، توهج
نصلها احمراراً ، لتسقط في معدته في علف وقسوة .. وحفظت
عيناه في ألم ورعب ، واحتبست في حلقه صرخة ، ثم لم يلبث أن
ختر حنة هائدة ، فدارت كرة اللهب حول رأسه دورة أخيرة ، ثم
اختفت ، وبرز من بين الأشجار زحى ، يخفى وجهه بقناع على
هيئة جمجمة ، ثرراً أنيابها حادة مقوسة ..
وبدأت اللعنة ..

تعلقت عينا المقدم (ممدوح عبد الوهاب) بتلك السلسلة
الحديدية القصيرة ، ذات المقتضين الخشبيين الفيلطين
القصيرين في طرفيها ، والتي يمسك بها مدرّبه الكورى ، داخل
صالة التدريبات التابعة لإدارة العمليات الخاصة ، واستعدّ
لمواجهة مدرّبه في ذلك التدريب المتقدم ، من تدريبات لعبة
(الكونج فو) ، والذي يشبه القتال الحقيقي ، والمدرّب

الكورى بحرك السلسلة بين يديه فى سرعة وقراءة ، محاولاً
تثبيت انتباهه ..

وفجأة انقضَّ المدرب ، وأحدثت العصا الخشبية صريراً
مخيفاً فى الهواء ، وهى تهوى نحو رأس (ممدوح) ، الذى كان
يعلم أن أية خطوة خاطئة قد تحطّم رأسه ، إلا أنه كان يتميز بشأته
المعهود ، ويقطعه الكاملة ، فتصادى الأطراف الخشبية القصيرة
فى مهارة ، وهو يميل يمينا ويساراً فى مرونة ، ثم لم يلبث أن طوّح
قدمه بضربة جانبية ، لتزكل يد مدربه ، وكانت ركضه من القوة
حتى أنها أعادت العصا الخشبية ، لترتطم بكشف المدرب ،
الذى عاجله (ممدوح) بركلة أخرى فى صدره ، أخلّت
بوازله ، وكادت ترفعه أرضاً ، ولكن الرجل تمالك نفسه فى
سرعة ، على الرغم من غث الضربة ، وانقضَّ مرة أخرى على
(ممدوح) ، وهو يطلق صرخة قتالية قوية ، مثيراً للفرع ..

وتصادى (ممدوح) اللكمة فى براعة ، ثم هوى بحذ راحته
على غنق مدربه ، وقفز فى الهواء ، ليلقط السلسلة الحديدية
بأطراف قدميه ، ودار بحسده ذورة رأسية غاية فى البراعة ، قبل
أن يسقط على قدميه ، وقد حار هو السلسلة ..

وتطلع إليه المدرب مشدوهاً ، حيناً رآه يُدير السلسلة

بين يديه فى براعة فائقة ، وهو يدير طرفها حول وجهه ورأسه فى
سرعة ومرونة ، ثم أدارها دورة أخيرة ، والتقط أحد طرفها تحت
إبطه ، وهو يجذب الطرف الآخر فى قوة ، معلناً نهاية المباراة
واجبم المدرب الكورى ، وهو يصفق إعجاباً ، قائلاً :

— رائع .. بل أكثر من رائع أيها المقدم .

أعاد إليه (ممدوح) السلسلة ، قائلاً فى بساطة وتواضع :

— يعود الفضل إلى تديباتك العظيمة يا مسر (يا ج) .

أجابه المدرب فى جدية :

— كفك تواضعاً أيها المقدم .. إننى أعترف أن التلميذ قد

تفوق على أستاذه ، فلك الحركة الباردة ، التى انتزعت بها
السلسلة من قبضتى ، حركة متقدمة للغاية ، ومن المدهش أن
تجح فى استيعابها فى شهور قليلة ، فى حين يحتاج البعض إلى
سنوات من المران لتفعلها !

استسم (ممدوح) فى هدوء ، واتجه ليحصل على دُش
منعش ، خرج بعده من صالة التديبات ، متجهاً إلى سيارته ،
وهو ينوى العودة إلى منزله ، ولكنه لم يكده بهم بفتح باب
السيارة ، حتى سمع صوتاً يقول فى اهتمام :

— لحظة يا سيادة المقدم .

التفت (مدوح) إلى مصدر الصوت ، فرأى أحد زملائه في الإدارة يتجده نحوه بخطوات مُسرَّعة ، فسأله في اهتمام :

— ماذا هناك ؟

أجابته زميله ، قائلاً :

— سيادة اللواء (مراد) يطلبك في مكتبه على الفور
باسيادة المقدم .

ثم أردف في اهتمام :

— يبدو أنها مهمة جديدة .. مهمة غير عادية ..

دلف (مدوح) إلى حجرة رئيسه في هدوء ، وراه يتحدث إلى شخص ما هاتفياً ، ويشير إليه بالجلوس ، فتقدم نحو المقعد المقابل للمكتب ، وجلس في صمت ، وحاول أن يتطلع إلى سقف الحجرة متشاعلاً ، حتى ينتهي رئيسه من محادثته ، إلا أن الفضول لم يلبث أن استبد به ، حتماً سمع رئيسه يقول :

— نعم . بسيادة رئيس الوزراء .. ستبدأ تحركك غداً ..

نعم .. الضابط المرشح للمهمة يجلس أمامي الآن ، وهو من أكفأ رجالنا .. نعم ياسيدى .. أنا واثق من أنه سينهى المهمة على أكمل وجه .

تساءل (مدوح) عن المهمة ، التي تجعله — شخصياً — هدفًا لحديث خاص بين رئيسه ورئيس الوزراء ، وقال لنفسه :

— إذن فهي مهمة على درجة عالية من الخطورة والأهمية .. مَرَحَى .. مَرَحَى .. ستترك الأعمال المكتبة والرؤيوية ، وتبدأ العمل الجاد ..

تحقَّر كل جزء من عقله وحسده ، كضأنه كلما أقدم على عملية جديدة ، من تلك العمليات الخاصة ، ورأى اللواء (مراد) يضع سماعة الهاتف ، ثم يلتفت إليه ، قائلاً :

— لا زلت ألك قد استمعت إلى حديثي مع رئيس الوزراء ، بشأن مهمتك الجديدة .
مدوح :

— لست أخفى أنها أثارت فضولي ياسيدى ، وجعلتني أتساءل عن نوعها ، ومدى أهميتها !

أشعل اللواء (مراد) سيجارته ، قائلاً في جدية :

— إنها مهمة بالغة الأهمية والخطورة بالفعل يا (مدوح) ، فهي تتعلق بمشروع سِد (كاتون) ، الذي تتولَّى الحكومة المصرية تنفيذه في (الجابون) ، جنوب غربي القارة الإفريقية ، فالأهمية الحقيقية لتوليتنا هذا العمل الضخم ، ليست مجرد

عائد مادي للخزائن ، ولكنه توطيد أو اصر الفقه والصداقة ،
 وإثبات كفاءة وخبرة المصيرين ، ومضارعتهم لأغنى الخبراء
 الأجانب ، وهذا يعني أن ذلك المشروع هو — في حد ذاته —
 هدف استراتيجي بعيد المدى ، ويُعدّ ركيزة التعاون بين
 (مصر) ، والدول الإفريقية ، وينبغي أن يظل هذا واضحاً ،
 قبل أن أبدأ في شرح تفاصيل المهمة لك .

ثم اعتدل ، وهو يقول في اهتمام :

— والآن استمع إلي .. استمع إلي جيداً ..



٢ — نبوءة الرعب ..

لم يشعر (ممدوح) بهبوط طائرته في مطار (ليرفيل) ،
 عاصمة (الجايون) ، فقد كان ذهنه يسترجع — في إصرار —
 حديثه الأخير مع اللواء (مراد) ، حينما قال :

— منذ ثلاثة أشهر بدأنا في إرسال خبرائنا وقيادنا إلى
 (الجايون) ، للمشاركة في بناء السد ، وكانت بدايات العمل
 مشجعة ، تبشّر بالنجاح ، وبدأت أعداد أخرى من المهندسين
 والفنيين هنا تستعدّ للخاق بزملائهم ، إلا أنه ، ومنذ عدة
 أسابيع ، بدأت تقع هناك حوادث غامضة ، في منطقة
 (ماكوكو) ، التي تقرر بناء السد فيها .. حوادث راح ضحيتها
 العشرات من المصيرين ، وأنشاء (الجايون) ، دون سبب
 واضح ، أو تفسير مفهوم ، ولقد أقسم بعض من كتبت لهم
 التحفة ، من تلك الحوادث الغامضة ، أنهم قد رأوا ظواهر
 غامضة ، يعجز العقل عن تفسيرها ، وأدّى ذلك إلى انتشار
 شائعات تتعلق بالحرفات والمعتقدات الإفريقية القديمة ،

— هل تؤمن بسيادتك بأن ما يجرى هو نوع من السحر

المشترى في (إفريقيا) ؟

اللواء (مراد) :

— هناك صلة ما بين نبوءة الرجل ، وتلك الحوادث

الغامضة يا (ممدوح) ، ثم إن مشروع بناء السد كله قد بات

مهندداً بالفشل ، بعد استقرار تلك النبوءة في العقول ،

وما ضجها من ظواهر مُثيرة ، وحوادث قتل غامضة ، والخوف

هو المسيطر الآن على قلوب وعقول الجميع .

ممدوح :

— المطلوب إذن هو كشف الحقائق ، قبل أن يتوقف العمل

تماماً في السد .

اللواء (مراد) :

— نعم .. فالأمر يخفى في طياته ما هو أكثر من نبوءة

ساحر ، وصحاحيا خرافات مُسيطر على العقول .. إننا نعتمد

أنا إزاء مُؤامرة تُدبر ، لمنع المصريين من المعاونة في بناء السد ،

ومهندسك هي القضاء على هذه المؤامرة بأي ثمن .

ممدوح :

— سأعمل جاهداً على ذلك يا سيادة اللواء ، فأنا

لا أخشى الجن أو العقارب .

وَجَدْتُ طريقها إلى قلوب وعقول الكثيرين ، مما أدى إلى فرارهم

من منطقة العمل ، وتوقف معظم العمليات الخاصة ببناء

السد .

سأله (ممدوح) في اهتمام :

— وهل تعرف هذه الشائعات يا سيدي ؟

اللواء (مراد) :

— لقد وصلتني تقرير من سفارتنا في (الجايون) عن ذلك ،

وهو يحوى ملاحظة غريبة ، إذ يقول إن أحد السحرة المعروفين في

(الجايون) ، وتُدعى (تشومبي) ، قد تنبأ منذ عدة أشهر ،

بأن وصول المصريين إلى (مأكوكو) ، سيحمل معه تدمير الموت

والربح والخراب للمنطقة ، وحاول أن يثبغ المسئولين في

حكومة (الجايون) بخرافاته ، ولكنهم ، وعلى الرغم من نفوذ

(تشومبي) القوي هناك ، رفضوا تخذيراتهِ ، وأصرُّوا على

الاستعانة بالخبرات المصرية ، لبناء سد (كاتون) .

وها هي ذى تلك الحوادث الأخيرة ترزعزع الثقة ، وتوحى

بأن نبوءة ذلك الرجل الغامض لم تكن مجرد خرافة ، أو خداع

دجالين .

قال (ممدوح) مُستكبراً :

قال اللواء (مراد) في جلدته :

— كُنْ على خذر يا (ممدوح) ، ولا تستهن بالأمر ،
فأنت تُقِيلُ على مواجهة قُوَى خفية تجهلها .. قُوَى تجمع ما بين
أسلحة الدمار ، ووسائل السُخر والشعوذة ؛ لتنتشر الموت
والرعب والحراب في المكان ، الذي ستذهب إليه .. كن على
خذر ..

كُنْ على خذر .. كُنْ على خذر .. كن على خذر ...
تردّت العبارة الأخيرة في ذهن (ممدوح) ، كما لو كانت
صدى يتراجع ويُخَفِّق في لُطْء ، حتى انتزع منها صوت مضيفة
الطائرة ، وهي تقول في هدوء :

— لقد وصلنا يا سيدي .

اتيه (ممدوح) من ذكرياته ، وأسرع بحلّ نطاق مقعده ،
وغادر الطائرة ، حيث وجد مندوباً من السفارة المصرية ينتظره
في المطار ، يستقبله بوجه تكسوه أمارات الحزن والتجهم ،
وهو يقول :

— معذرة يا سيادة المقدم ، كنت أودّ أن استقبلك بوجه
هائِلٍ ياش ، إلا أنني شُيِّعت قبل وصولك جثمان مهندس
مصري قتل ، ممن كانوا يعملون في (ماكوكو) ، ولقد غادرت

الطائرة التي تحصل جثاته المطار ، قبل وصول طائرتك
بلحظات .

شعر (ممدوح) بالأسى ، وهو يقول :

— إنني أقدر ذلك ، وأشاركك شعورك .
مندوب السفارة :

— سأوصلك إلى فندقك أولاً ، ثم تلقى في المساء ،
ولعلم أنني أحمل توصية بتلبية كل طلباتك في (ليرفيل) .
سأله (ممدوح) في اهتمام :

— هل يمكنك أن تُدِيرَ لي لقاء مع المدعو (تشومي) ؟
بدت أمارات القلق على وجه مندوب السفارة ، وهو يقسم :
— هذا الأمر صعب بعض الشيء في الواقع ، فعل الرغم من
أن (تشومي) شخصية معروفة هنا ، إلا أنه في غزلة دائمة ،
ونادراً ما يرحب بأية لقاءات أو زيارات ..

ممدوح :

— لا بأس من المحاولة .

صمت مندوب السفارة لحظة مفكراً ، ثم أجاب في حزم :
— سأبذل قصارى جهدي .

ذئب جرس الهائف في حجرة (ممدوح) ، في تمام الساعة
السابعة صباحا ، فتناول الساعة ، ليستمع إلى مندوب
السفارة المصرية ، وهو يُبَادِرُهُ قائلًا :

— لست أدري أمحظوظ أنت أم سئ الحظ أمها المقدم ؟ ..
لقد والحق (تشومى) على مقابلتك الليلة .

ضحك (ممدوح) ، وهو يقول :
— ما دام (تشومى) هذا رجلاً تصعب مقابلته ، فأنا
محظوظ ولا ريب .

أجابه مندوب السفارة في قلق :
— ربما .. ولكن الآخرين يَحْشُونُ مثل هذا اللقاء ،
فالأساطير والقصص ، التي تحاك حول هذا الساحر الأسود ،
مُرْجِية .

ممدوح :
— هذا يزيد من فضولي وغفنى لمقابلته ، فأنا أهوى لقاء
هؤلاء الذين تحاك حولهم الأساطير .. سأستبدل ثيابي ، والحق
بك في قاعة الفندق ، وأراجهك أن لقاءى بـ (تشومى) هذا
سكون متصيرًا .. متميزًا جدًا .

٣ — اللعنة السوداء ..

توقفت السيارة التي نُقِلَ (ممدوح) ، ومندوب السفارة
المصرية ، في تمام الساعة مساءً ، أمام فيلاً فاخرة ، تحيط بها
حديقة كبيرة ، في منطقة منعزلة في أطراف العاصمة الجايبونية ،
وتقدم منها رجل زلخى فارغ الطول ، يرتدى خُلة حمراء فاقعة
اللون ، واستقبلهم وهو يفتح البوابة الحديدية للفيلا ، قائلًا :

— مسر (تشومى) في انتظاركما .

تقدم (ممدوح) ومندوب السفارة ، خلف الرنحي ، عبر
عدة ممرات لولبية ، تحترق الحديقة ، التي بدت نباتاتها
الاستوائية ، وسط الظلام الدامس ، والسكون الرهيب ، مشيرة
للخوف والقلق ، بأكثر مما تثير الإعجاب بجمالها .. وبين حين
وآخر كان يفاجئهم غمائل مُرْعب ، عجب الشكل ، وسط
الممرات اللولبية ، حتى شعر (ممدوح) بالرغبة التي سرت في
أوصال رفيقه ، فحاول أن يُطْمَئِنِّه قائلًا :

— منذ متى تعمل في الحقل الديبلوماتي في (إفريقيا) ؟

عس مندوب السقارة في توتو :

— منذ سبع سنوات ..

ابسم (ممدوح) ، قائلًا :

— كان ينبغي أن تعداد مثل هذه الأجواء ، والقاتيل العجيبة

إذن .

عمعم مندوب السقارة في صوت مُرْتَجَف :

— إنني لم أشعر بمثل هذه الرهبة من قبل ، طوال عمل

هنا .. هناك شيء غريب يُحيط بالمكان .

حاول (ممدوح) أن يقول شيئًا ما ، ولكنه شعر بصعوبة في

التفكير ، وبدأ وكأنه لقلًا ما يحتم على حنجرته ، وتساقطت

حبّات العرق البارد على جبينه ، فتنطّلع إليه مندوب السقارة في

دهشة ودُغْر ، وهو يقول :

— ماذا بك ؟.. إن وجهك شديد الاصفرار ، حتى لتبدو

أسوأ حالًا متى ..

توقّف (ممدوح) ليلتقط أنفاسه ، وهو يقول :

— يبدو أنك على حق .. هناك أمور غير عادية تحيط بهذا

المكان بالقفل .. دعنا نواصل سيرنا .

كان الزمحي قد ابتعد عنهما قليلًا ، غير عاني بما أصابهما ،



وبين حين وآخر كان يفاجئهم غثال مُرْعَب ، عجيب الشكل ،

وسط المسرات اللولبية .

ثم لم يلبث أن اختفى فجأة وسط الظلام الدامس ، اخطأ
بالثيلا ، فواصل (ممدوح) ورفقته تقدمهما نحو المبنى ، على
الرغم من ازدياد إحساسهما بصعوبة التنفس والإرهاق البالغ ..
ولجأة بدت لهما وسط الظلام فتاة سمراء ، ترتدى ثوبا
قصيرا ، من نفس اللون الأحمر الفاقع ، الذى كان يرتديه
الزنجى ، وكانت تحمل فى يدها مصباحا ضوئيا ، ألقت أشعته
على وجهيهما ، وهى تقول فى صوت ناعم رقيق :

— مساء الخير أيها السيدان .. مستر (تشومبى)
ينتظركما .. اتبعانى .

قادتاهما إلى داخل الثيلا ، إلى حجرة واسعة ، لماخرة
الأثاث ، تغطت جدرانها بمكتبة ضخمة ، تحوى المئات من
الكب فى مختلف التخصصات ، وشعر (ممدوح) أن الإرهاق
وصعوبة التنفس ، اللذين كان يشعر بهما ، قد زالا بمجرد
دخوله تلك الحجرة ، وأنه قد استرد حيويته ونشاطه ، فى حين
قالت الفتاة ، وهى تستعد لمغادرة المكان :

— سيحضر مستر (تشومبى) بعد لحظات .. كونوا على
راحتكما .

هبالك مندوب السفارة فراق أقرب مقعد ، فى حين انجذب

(ممدوح) نحو المكتبة ، وتناول من أحد أرففها كتابا ، لحظ
على كعبه بحروف بارزة عنوان : (السحر الأسود) ، لؤلف
التجلىرى يُدعى (وولتر ستارك) ، وأخذ يُقلب صفحاته ،
ويقرأ بعض عناونه المثيرة الغريبة ، مثل (الموت الشصق) ،
(الموت القمري) ، و (لعنة المثلث الأسود) ، وغيرها ،
وبينما هو مستغرق فى ذلك لمح مندوب السفارة ، وهو يصب
لنفسه بعض الشراب ، من زجاجة على هيئة ثمرة الأناناس ،
فصاح به قائلا :

— لا تشرب هذا .

سأله مندوب السفارة فى دهشة وجزع ، وقد اضطرب
الكوب فى راحته :

— لماذا ؟ .. إننى أشعر بالعطش ، وهذا ليس سوى شراب
أناناس مثلج .

أجاب (ممدوح) فى حزم :
— نحن لا ندرى ماذا يكون هذا ، وربما كان مشروبا
سحريا .

اضطرب الرجل ، وهو يعيد الكوب إلى المائدة ، ويتطلع
إليه فى ذهعر ..

وفجأة .. صكّت مسامعهما ضحكة قصيرة حادة ، من
مدخل الحجرة ، فالتفتا إليه ، ليجدها مفتوحة على مصراعها ،
وقد وقف على عتبة عملاق أسود ، بالغ الضخامة ، أصلح
الرأس تمأماً ، له عينان جاحظتان ، يشعان ببريق مخيف ، وقد
اختلط بياضهما بشيء من الخمرة ، وقد بدا كغوريلاً ضخمة في
ثوب آدمي ، وهو يرتدى سرة ومادية طويلة تغطي ركبته ، ولها
ياقة ضلبة ، وأسفلها سروال من اللون نفسه ، ولقد بدا صوته
شديد العمق والصرامة ، وهو يقول :

— أنا الرجل الذي جئنا لمقابلته .. أنا (تشومبي) .

الساحر :

وان الصمت طويلاً ، بعد أن ألقى (تشومبي) عبارته ،
وبدا وكأن الحجرة كلها تسبح في بحر من الغموض والرهبة . قبل
أن يلتفت (تشومبي) إلى مندوب السفارة ، قائلاً :

— من الواضح أن رفيقك شديد الإرتياب .

ثم تقدم إلى منتصف الحجرة ، مستطرداً في غميق :

— اسمي (كورو تشومبي) ، ويطلقون عليّ هنا اسم
(الساحر العملاق) ، وأحياناً (الأب الكبير) ، فأنا أرمي
مصالح الكثيرين ، وأمدّ لهم يد المساعدة .

قال (ممدوح) متهمكناً :

— بالألعاب السحرية ؟

ابسم (تشومبي) ابتسامة صفراء ، وهو يقول :

— لقد تركتها لذوى الميول الاستعراضية يا قبي ، أما ما أقوم
به أنا فهو قوة عارقة ، لا يمتلكها إلا النادرة النادرة من بشى
البشر ، وأنا أعظمهم .

ممدوح :

— وما الذى قدمته من مساعدات ، إلى أولئك الذين
يعانون في (ماكوكو) ، من ضحايا سد (كاتون) .

اكشى وجه (تشومبي) بالفضب ، وهو يقول في صوت
هادئ :

— لقد حذرتهم من قبل ، ولكن أحداً لم يستمع إلى تحذيرى .

ممدوح :

— بم حذرتهم ؟

تجاهل العملاق الأسود إجابة هذا السؤال ، واقتصر نغره عن
ابتسامة واسعة ، كشفت صفين من الأسنان اللامعة البيضاء ،
وهو يقترب من (ممدوح) ، ويلتقط الكتاب الذى يمسك به ،
قائلاً :

— هل تستهيك كتب السحر الأسود ؟

ممدوح :

— أنا لا أؤمن بوجود سحر أسود أو أبيض ؛ هناك فقط
تخرجات يستخدمها بعض الأشرار ؛ للتأثير على عقول
الآخرين ، وإيماهم بأشياء تخالف المنطق .

أطلق (تشومي) ضحكة عالية مُخلجلة ، وهو يقول :
— صدقت أيها الشاب ، فكل ما جاء هذا الكتاب مجرد
تخرجات ؛ لا صلة لها بالحقائق .

وتطلع بعينه الخفيفتين ، الشبيهتين بعيني البومة ، في عيني
(ممدوح) ، وهو يقول في هُسن كالفحيح :

— ولكن السحر الأسود موجود ، ولقد توارثناه منذ أجيال
وأجيال ، وهو يختلف تمامًا عما جاء في كتاب ذلك الإنجليزي
الأحمق .

شعر (ممدوح) بالإعياء والاحتقار بما ودانه ، وهو يتطلع
إلى عيني (تشومي) ، حتى أنه لم يقو على مسح حبات العرق
عن جبهته . ولم يكذ (تشومي) ببعد ، ويجلس خلف مكتبه
الضخم ، حتى زائله هذه الحالة ، ورأى العملاق الأسود
يسم في سُخرية ، وهو يقول في هدوء :

— اجلس إلى جوار زميلك ، فأنت تبدو مُنهكًا
وأشعل غليونه في هدوء ، ثم تطلع إليهما بعينه الناقبين ،
قائلًا :

— لماذا أردتما مقابلي ؟

أجابه مندوب السقارة ، قائلًا :

— السيد (ممدوح عبد الوهاب) محقق خاص ، أوفدته
الحكومة المصرية ، لتحرى أمر تلك الحوادث الأخيرة ، في
منطقة (ماكوكو) ، حول سد (كاتون) .

نفت (تشومي) ذُخان غليونه ، وهو يقاطعه قائلًا :
— بل هو رجل أمن مُخترق ، أرسلته إدارة العمليات
الخاصة ، المعروفة باسم (المكتب رقم (١٩)) ، لوضع حد
لهذه الحوادث .

فقر مندوب السقارة لاه ، وهو يهتف في دهشة :

— كيف عرفت هذا ؟

ابتسم (تشومي) ، قائلًا :

— (تشومي) يعلم كل شيء يارجل . لقد طلبنا
مقابلي ، لأنكما أردتما معرفة العلاقة بين نبوءتي ، والحوادث
الغامضة في (ماكوكو) .

ثم التفت إلى (ممدوح) ، مُسْتَظِرًا :

— لقد أخبروك أنني أمارس السحر ، قبل أن يرسلوك إلى هنا ، وإنما لم أخبروك أيضاً أنني من عائلة واسعة الثراء والشهرة هنا ، في (الجابون) ، وأنني حاصل على أعلى الدرجات في علم (الفيزياء) من (السوربون) ، وهذا يعني أنك تجلس أمام رجل مثقف متحضر ، وأن ما أقوله — وترفضه — عن السحر الأسود ، و (اللغة السوداء) ، يصدر عن رجل هو أبعد ما يكون عن الدجل والشعوذة .. إن (اللغة السوداء) تشبه ما تطلقون عليه اسم (لغة القراعة) .. إنها لغة أبدية ، تنصب على كل من يجزو على تخديها ، غير الزمان والمكان .. وهذا ما أصابكم في بلادنا .. فمنذ عصور بعيدة غزا المصريون أرضنا ، واستقروا في المنطقة التي تُعرف الآن باسم (مأكوكو) ، وحالوا أن يسيطروا علينا ، ويسوقوا شعبنا كأرقاء إلى بلاد القراعة ، ولكن سحرة (مأكوكو) تصدوا لهم ولكن قدماء المصريين كانوا أسرع أهل الأرض في السحر — حينذاك — لذا فقد دار بين الجانبين صراع هائل رهيب استحضرت فيه كل قوى الشر في الكون ، وانتهى بمصرع كل سحرة (الجابون) ، وذبيهم في (مأكوكو) .. ولكن (اللغة السوداء) كانت قد انطلقت من عقاها وأصبح من المستحيل كبحها ، فلم تلبث أن قضت على

المصريين بذورهم ، بعد عدة أسابيع ، وتحولت إلى لغة أبدية ، تنصب شرورها على كل من يطا أرض (مأكوكو) من نسل القراعة ، وكل من يحاول أن يمد لهم يد المساعدة ، وهذا مسجل على جدران كهوف (مأكوكو) ، وفي مخطوطات السحر الأسود القديمة ، المتوارثة عن الأجداد ، والتي تختلف غاماً عن ذلك الكتاب الساذج ، الذي كنت تظالعه ، والتي تروى مذابح سحرة (الجابون) ، وأسرار (اللغة السوداء) ، التي تقضي على كل من ينسى إلى بلادكم ، وأنا لم أفعل سوى التحذير من ذلك الخطر ، ولكن أحداً لم يستمع إليّ ، على الرغم من أنهم كانوا يطيعون كل نصائحني فيما سبق ، ولا يحق لهم الآن إلا أن يلوموا أنفسهم ، بعد أن تسبوا بعنادهم في إطلاق اللغة ..

وازداد صوته عمقا وصرامة ، وهو يستطرد :

— إن وجودكم في (مأكوكو) عظيم الخطر ، ليس بالنسبة لكم وحدكم ، ولكن بالنسبة لأهالي (مأكوكو) أيضاً ، فاللغة السوداء شبيهة الجميع بالفرقة .. أنتم وحدكم أطلقتم (اللغة السوداء) من عقاها .. ورحيلكم وحده قد يكبح جماحها ..

٤ - الفُحُّ القاتل ..

سأل مندوب السفارة المصرية (ممدوح) ، ومما في طريق العودة :

— ما رأيك فيما قاله هذا الرجل ؟

ممدوح :

— إن روايته عن (اللعنة السوداء) لم تكن مطلقاً ، ثم إن التاريخ لا يشير أبداً إلى قدوم المصريين القدماء إلى هذه البلاد ، ولكن الرجل — مع ذلك — يتمتع بقدرات غير عادية ، فهو — كما قال — ليس مجرّد ساحر أو مُشغوفٍ .. إنه رجل واسع الثقافة ، عظيم النفوذ ، مما يجعل الأمر أكثر خطورة ، لو ثبت أن له علاقة مباشرة بما يحدث في (ماركوكو) .

مندوب السفارة :

— لست أدري كيف أفسّر تلك المشاعر الغريبة ، التي انتابني في قلبه !!
ممدوح :

— هذا شعوري أيضاً ، وأعتقد أنه كان يحاول التأثير علينا بشكل ما ، استعراضاً لقوّته .

ثم أطرّق لحظة ، قبل أن يستطرد في حزم :

— سأسافر غداً إلى (ماركوكو) ، وعليك أن تحاول تدبير مكان لي ، وسط العاملين في سدّ (كاتون) .

بعد لحظة من التردّد ، أجابه مندوب السفارة :

— سأحاول تنفيذ ذلك ، ولكن كن على حذر ، حينما تذهب إلى ذلك المكان الملعون .

اتسم (ممدوح) ، وهو يقول :

— يبدو أنك قد صدّقت ما يقوله (تشومي) عن اللعنة السوداء .

تطلّع مندوب السفارة إلى الطريق المستد أمامه في وُجوم ، ثم قال :

— ما يحدث في (ماركوكو) لم يحدث لونه بعد أيها المقدم ، وأيّما كان هذا اللون فهو لعنة .. لعنة خبيثة .

* * *

وصل (ممدوح) إلى (ماركوكو) في ساعة مبكرة من الصباح ، وبدت له الصورة أكثر وضوحاً ، حينما قضى يومه كله في صحة العاملين في سدّ (كاتون) .

كان الكثيرون قد تركوا العمل في المشروع ، ولكن العدد
الكثير الباقى ساعداً (ممدوح) على جمع بعض المعلومات الهامة ،
عن الحوادث الغامضة ، وإن اختلفوا في تفسير أساليبها ، فقد
رَدُّها البعض إلى رجال القبائل والحيوانات المفترسة ، التي ترخر
بها الأحرار المحيطة بالمنطقة ، وعزاها البعض الآخر — وبخاصة
الجاينيون — إلى ما قاله (تشومس) عن (اللعنة السوداء)
الغامضة ..

وفي ساعة متأخرة من الليل دلف (ممدوح) إلى منزله
الحشوي الصغير ، الذي أعد له ، بعد أن أضاءه البحث
والاستفسار ، ولم يمس أن يتأكد من حشو فمِّه ، قبل أن
يُدبَّه تحت وسادته ، ناهياً غثيف الاحتمالات ، في أول ليلة له
في الأرض الملعونة — كما يطلقون عليها ، وأخرج من حقيقته مرآة
متوسطة الحجم ، وضعها فوق المنضدة الجاورة للفراش ، في
مواجهة باب الكوخ ، في وضع يسمح له برؤية أى شخص
يحاول التسلل إلى الداخل ، وهو يولي ظهره ، وتعمد أن يوقد
صنفاً خافتاً ، يسمح له بالرؤية ، وبعد أن اطمأن إلى كل
تدبيراته ، ترك نفسه يسرق في نوم عميق .

وفي الثانية بعد منتصف الليل ، جفل (ممدوح) فجأة ،

ورفع رأسه عن الوسادة في حركة حادة ، وقد شعر بأطراف خشة
رفيعة تتحرك فوق ساقه ، ولم يكد يتطلع إلى تلك الأطراف حتى
تجمد في مكانه تماماً ، فقد كان هناك عقرب أسود ، من أشد
أنواع العقارب خطورة ومُسمِّية ، يتحرك فوق ساقه في ببطء ...
ولم يدرك (ممدوح) كيف ينجاها هذا الخطر المدهم ، فقد
كان يعلم أن أية حركة مفاجئة منه ستثير العقرب ، وتدفعه إلى
دفع طرف ذنبه السام في ساقه ، مما يقضي عليه خلال خمس ثوانٍ
على الأكثر ، وبقاؤه ساكناً سيجعل العقرب حرّاً فوق جسده ،
يختار المكان المناسب ، ليلقي فيه سُمِّه الفاتك ، وفي كلتا
الحالتين ، سيلقى حتفه حتماً ..

وعلى الرغم من حواسه المتحفزة المشدودة ، التقطت أذناه
صرخة مكبوتة ، انطلقت من الكوخ الذي يجاوره ، وشعر
بالوتر لعجزه عن تحريك الأثر ، في موقفه العصبى هذا .
وفجأة جالت بمخاطره فكرة ، فالتقى رأسه على الوسادة ،
وسد ذراعه إلى الوسادة الجاورة ، والتقط المرأة بأطراف
أصابعه ، وهو يبذل جهداً حارقاً حتى لا يتحرك جزء واحد من
جسده ، بخلاف ذراعه ، متحاشياً إثارة العقرب ، ثم اعتدل في
بطء وخذر ، والعرق يتصبب من وجهه ، ووضع المرأة في

خدود حذر فوق ركبته ، وتمت من أعماق قلبه أن يكمل العنبر
طريقه ، ليصعد فوق المرأة ، وهو يخشى أن يتحاشاها ، أو يغرز
طرف ذنبه السام في ساقه ، قبل أن يصل إليها ..

ولكن العنبر واصل طريقه ، وصعد فوق المرأة ، وهنا
القط (ممدوح) قذاحه ، وأدار ترسا خفيا في جانبها ، وهو
يصوب قوتها نحو العنبر ، وعلى الفور انطلق من قوة
القذاحة خيط من أشعة الليزر ، أحال العنبر في لحظة إلى
جسم مطحّم ، وتشتقت المرأة ، وذابت أطرافها ، فأصاب
ساق (ممدوح) بعض الحروق ، ولكن سعادته بالإفلات من
الخطر جعله يقفز من فراشه في نشاط ، متجاهلا عروقه
السطحية ، ويلقط مسدسه من أسفل الوسادة ، ويندفع
خارج الكوخ ، في طريقه لتجرى سر تلك الصرخة المكونة ،
التي سمعها منذ لحظات ..

ولم يكذ يصل إلى الكوخ ، الذي انبعثت منه الصرخة ،
حتى ألقي بابه مفتوحا ، فألقى نظرة داخله ، ليجد كل محبوباته
مبعثرة ، وقد احتفى المهندس المصري الذي يقطنه ، كما استرعى
انتباهه خيط من الدم إلى جوار الباب ، فقال لنفسه :
— لقد حاول المسكين أن يقاوم ، فأصابوه ..

وأصرح يخرج من حيه متطارا ذا عذسات خاصة ، تتيح له
الرؤية في الظلام ، ووضع فوق عييه ، ثم انطلق يتابع آثار
الدماء المتناثرة ، وهو يقبض على مقبض مسدسه في قوة ، حتى
قادته قدماه إلى الأحرار المحيطة بمنطقة العمل ، فاخترقها وهو
ينفث حوله في خدر وتأهب ..

وفجأة وجد أمامه المهندس المصري ، مقبلا إلى جلدع شجرة
صخمة ، على بعد عدة أمتار ، والدماء تسيل من ساقه
وذراعه ، فاندفع نحوه ، ولكن منظره ذا العذسات الخاصة
جعلته يلمح حربة تخفى بين الأغصان المتشابكة ، تحفز
للاندفاع نحو صدره ، حينما يقترب من الرجل الموثق ..
كان فتحا مثاليا قاتلا ..

وفي براعة نادرة ، التلقت رصاصة (ممدوح) لتشتطر
الحربة إلى نصفين ، وأربكت المفاجأة صاحب الحربة ، الذي
يخفى وسط الأغصان المتشابكة ، فاندفع يركض على غير
طريق ، وانطلق (ممدوح) خلفه في سرعة ومهارة وخفة ،
ليقطع طريقه ، ووجد نفسه أمام زحى ضخمة الجثة ، عارى
الصدر ، يخفى رأسه ، ونصفه السفلي بأنواع مختلفة من ريش
الطيور ، ويغطي وجهه بأصابع متافرة الألوان ..



وأطلق الزنجي صرخة مفترعة ، وهو يسأل خنجره ، وينقض على (مدوح) ، الذي صوب إليه مسدسه .

وأطلق الزنجي صرخة مفترعة ، وهو يسأل خنجره ، وينقض على (مدوح) ، الذي صوب إليه مسدسه ، صائحا في صرامة : — أنت تعلم ولا يجب أن تصاصني أسرع من خنجرك . توقف الزنجي على بعد خطوات من (مدوح) ، وتظهر التردد في ملامحه ، فاستطرد في شجة أمرة : — ألق خنجرك ، وأخبرني من تكون .

لم يلق الزنجي خنجره ، وإنما أخذ يصرخ بكلمات غامضة مبهمه ، ويدق الأرض بقدميه في تناوع عجيب ، حتى برز من وسط الأشجار فجأة قرود وخشى ضخم ، أخذ يتجاوب مع حركات الرجل وصرخاته بأخوي مشابهة ، ثم لم يلبث أن أبرز أنيابه الحادة القوية ، وأدار عيبيه الخفيفين إلى (مدوح) ، ثم انقض عليه وهو يطلق زحجرة وحشية مخيفة

وأطلق (مدوح) رصاصة مسدسه على رأس القرود ، الذي توقف بفته ، ثم سقط صريعا . ولم يكد جسده يستقر على الأرض ، حتى برزت عذرة قرودة مشابهة من بين الأشجار ، وأحاطت بـ (مدوح) ، وهي تشق الليل بمحركاتها الرجعية الخفيفة . لقد أطلق الفتح فككه وأنياه تماما .

٥ - العهد الآدمي ..

التبر الزنجي فرصة ظهور القردة ، والشغال (ممدوح)
بمحاولة الدفاع عن نفسه في مواجهة أنيابها القاتلة ، واختفى
مسرعا وسط الأعراش ، في حين حاول (ممدوح) أن يشق
لقبه ثغرة ، وسط القردة الموحشة ، التي أحاطت به ، ليصل
إلى المهندس المقيد في جزع الشجرة ، ونجاهل فرار الزنجي ،
وهو يطلق رصاصاته على القردة ، التي سقط عدد منها مجذولا ،
في حين تراجع البعض الآخر ، دون أن يغادر المكان تماما ،
فاندفع (ممدوح) وسط الثغرة ، التي أحدثها رصاصاته ،
وأسرع يركض نحو المهندس ، ويحل وثاقه في عجلة ، وهو يعلم
أن القردة لن تلبث أن تعاود الكرة ..

وبالفعل ، لم يكذبني من حل وثاق الرجل ، حتى كانت
القردة قد أحاطت به مرة أخرى ، وقد ازدادت شراسها ، مما
دفعه إلى إطلاق رصاصته الأخيرة على رأس أحدها ، ليؤديه
قيلا ..

وأدركت القردة بغريزتها أن خصمها قد فقد وسيلة دفاعه ،
فزجمرت في وحشية ، وهي تنقض عليه بأنيابها الحادة القاتلة ..
وفجأة تعالت دقات الطبول ، وتعالى الصييح في المكان ،
وانطلقت الأعمرة النارية من جهات مختلفة ، لتصب عددا من
القردة ، فقرر الباقون في دعر ، ورأى (ممدوح) ورققه عددا
من العاملين بالسد يبرزون من خلف الأشجار ، وهم يحملون
الطبول ، والصفائح الفارغة ، والبنادق ، وهتف أحدهم :
- لقد سمعنا صوت الطلقات ، وصباحات القردة ، وكشفنا
أنك والمهندس (عادل) قد اختفيا ، فأسرعنا إلى هنا ، ولقد
وصلنا في الوقت المناسب لحسن الحظ ، ولكن ما الذي أتى
بكما إلى هنا ؟

ممدوح :

- لا وقت لإلقاء الأسئلة .. المهم أن تسرع بنقل المهندس
(عادل) إلى الوحدة الطبية ، فلقد نزف الكثير من دمه ،
وحالته تزداد سوءا .

أجابته (هوجو) رئيس العمال :

- إنه حسن الحظ ياسيد (ممدوح) .. إنه أحد القاتل
الذين نجوا من (اللعنة السوداء) .

جلس (ممدوح) إلى جوار المهندس (عادل) ، في
الوحدة الطبية ، في الصباح التالي ، حيث وجده ممدوح فوق
سريره ، والصمادات تحيط بكشفه وساقه ، وقال له وهو
يرسم :

— حمد الله على نعمائك .

قال المهندس المصري في امتنان :

— شكراً على تدخلك لمساعدتي في الوقت المناسب
ممدوح :

— هل يمكنك أن تزوي لي ما حدث أمس بالتفصيل ؟
المهندس (عادل) :

— لقد هاجمني أحد الزنوج أمس في أثناء لومي ، ولقد
حاولت مقاومته ، ولكنه أصابني بخنجره في وحشية ، في أجزاء
متفرقة من جسدي ، ثم ضربني على رأسي في قوة ، ففقدت
الوعي ، ولم أدر بعدها ماذا حدث .

ضحك (ممدوح) ، وهو يقول :

— يجب أن تحمد الله (سبحانه وتعالى) على هذه
النتيجة ، فلقد كدنا لنذهب طعاناً للفرقة أمس .
قال المهندس (عادل) ، واخوف يرسم في ملامحه :

— أريد أن أعلم ماذا حدث هنا ... إن الأمر ليس مجرد
زنوج تهاجمنا ، وقردة تحاول أن تفك بنا ، إنهم يقولون إنه هناك
لعنة في المكان ، منذ جئنا إليه ، وربما كان الأهالي هم من يحاول
التخلص منا ، قبل أن تتسللهم اللعنة .

نفس (ممدوح) متأهلاً للانصراف ، وهو يقول :

— إنني أتفق معك في أن ما يحدث هنا أمر عجيب ،
ولكنني أعيدك بالتوصل إلى الحقيقة كاملة ، فهذا هو الغرض
الذي أتيت من أجله ، والآن حاول أن تسرع ، ولا تقبل
نفسك بعقل هذه الأمور .

لم يكذب (ممدوح) يقادر الوحدة الطبية حتى وجد رئيس

العمال الجابونيين ، (هوجو) في انتظاره ، فصالحه في حراقة ،
وسار (هوجو) إلى حواره ، وهو يقول :

— إن ما حدث أمس يؤكد وجود قوى شريرة في المكان
بإسادة المقدم .

أجاب (ممدوح) في استخفاف :

— هل أنت ممن يؤمنون بهذه الحرافقة ؟

هز الرجل رأسه نفياً ، وهو يقول :

— لا ، ولكن (تشومي) لا يريدكم هنا لسب ما ، وهو

يستخدم كل قواه في السحر الأسود : لإبعادكم عن (ما كركو)
بشئ الطرق والوسائل

تأمله (ممدوح) في اهتمام : قائلا :

— ما الذي يجعلك تعتقد ذلك ؟

أجاب (هوجو) بلهجة واثقة :

— إن تلك القردة التي هاجتكما — أنت والمهندس

(غادل) — أمس ، لا تأخر بأوامر الآخرين ، ولا تخضع

لسلطاتهم ، إلا تحت تأثير السحر .

تظاهر (ممدوح) باللامبالاة ، وهو يقول :

— لقد رأيت القردة تفعل في السيرك ما هو أكثر من

ذلك ، بفصل التدريب الجيد ..

قاطعه (هوجو) بنص اللهجة الواثقة :

— الثور والأسود أيضا يمكن تدريبها في السيرك ، ولكن

ليس هذه القردة الوحشة .

ممدوح :

— هل تريد أن تقول إن ذلك السحبي ، ذا الريش

والأصابع ، من أعوان (تشومبي) ، وأنه هو الذي استدعى

القردة للشك بنا ؟

هوجو :

— الكثيرون يخضعون لسلطان (تشومبي) ، وليس
الحيوانات والبشر فقط ، هناك أيضا الشياطين ، وقوى
الطبيعة .

أراد (ممدوح) مجازاة (هوجو) ، فسأله في اهتمام :

— وأيه تأثير لـ (تشومبي) عليك ؟

أطلت نظرة رغب من عيني الرجل ، وهو يقول :

— الخوف .. إنني لست ممن يخضعون لسلطانهم ، ولكنني

أخافه ، وأحاف أن أخضع له يوما مثل الآخرين .

ممدوح :

— لماذا لم تفر إذن كالأخرين ، مادمت تخشاه إلى هذا

الحد ؟

هوجو :

— لأنني وابنتي نحتاج بشدة إلى الأشجار الكبيرة ، الذي

لنقاها هنا ، وهذا يساعدنا على التغلب على خوفنا ، ولكن

لدي اقتراحا قد يفيد .

ممدوح :

— ما هو ؟

اقرب الرجل منه ، وتلفت حوله ، وكأنها تلتشى أن يسمعه
أحد ، وهو يمس في أذنه :

— إننى اقترح الاستعانة بساحر آخر ، بمكنه السحري
لسخر (تشومى) .

تطلع إليه (ممدوح) فى دهشة ، ولقد تعجب من
اقتراحه ، على الرغم من أنه يثق مع أسلوب تفكير البسطاء فى
تلك البلاد ، فى حين استورد (هوجو) :

— هناك ساحر فى (الكونفو) له نفس قوة ونفسود
(تشومى) ، ولو أنكم استدعيتوه ، ودعتم له أجراً
مناسباً ، قد يمكنه أن يحجر سحر (تشومى) .

قاطعه (ممدوح) ، وهو يتسم قاتلاً :
— حسناً .. سأقبل اقتراحك إلى المسئولين .

ولكنه شعر فى أعماقه أن سيطرة (تشومى) على عقول
أهالى المنطقة رهيب ، وأن تحدى (اللغة السرداء) لن يكون
هيناً .. لن يكون كذلك أبداً ..

جلس (ممدوح) ، فى تلك الليلة ، وسط حلقة السمر ،
التي جمعت العاملين فى سد (كانون) ، وقد جذبتهم تلك

الرقصات الإفريقية ، التي يؤدونها العمال الجابونيون على إيقاع
الطبول ، وبدا المناخ شديد المرح ، والمصريون يحاولون محاكاة
الجابونيين فى رقصاتهم . إلا أن (ممدوح) شعر بالنعيب ،
فانصرف إلى كوخه ، ولم يكذب بخطو بصع خطوات ، مبعداً عن
حلقة الرقص ، حتى ثقت عيناه شح شخص يحاول التسلل إلى
كوخه ، فاستل مسدسه ، واقحم الكوخ فى جراحة ..

ولدهشته بدا الكوخ خالياً ، بضئيه يصيص من الضوء ،
فقدم (ممدوح) داخله فى دهشة وخذر ..

وفجأة افتتح باب إحدى الحجرات خلفه ، وهوت بد ذات
مخالب على مسدسه ، فأسقطته أرضاً ، وأصابته رصع (ممدوح)
بعض الحدوش ، ورأى أمامه رجلين ضخماء ، يغطى وجهه
وجسده بفراء الفهود ، وثبتت فى قبضته مخالب الفهود .

ودار الرجل الفهد فى وجه (ممدوح) كالوحش الكاسر ،
وهو يقوى بمخالبه على جسده ، وفجأة (ممدوح) الصرية
القائلة فى مهارة : واستخدم واحدة من حركات الكازايه التي
يعيدها ، ليترك الرجل فى معدته بقرة ، ثم عاجله بلكمة قوية فى
فكه ..

وتلج الرجل ، ولكنه لم يسقط أرضاً ، وإنما أطلت
 زئيراً قوياً ، حجبته قرع الطبول عن المسامرين في الخارج ،
 والنقض على (ممدوح) ، وهو لا يغي هذه المرة سوى
 هدف واحد ..
 قتله ..



٦ - الشعبان الخرافتي ..

هوت الخالب القاسية مرة أخرى ، لتصيب كسف
 (ممدوح) ، وتمزق قميصه ، ولكنه تحامل على نفسه ليرأوخ
 خصمه ، وهو يستعد لتسديد ضربة قاتلة إلى عنقه ، وهوى
 (ممدوح) براحة يده على صندوق خصمه الأيسر ، وجمعه يتأوه
 في ألم ، فعاجله بلكمة كالصاعقة في فكه ، أطاحت به إلى
 الوراء ، ثم ارتكز على أصابع قدمه اليسرى ، وتغول في براعة
 منقطعة النظير إلى طاحونة تدور حول محور واحد ، وهو يسد
 ل كل ذرة ركلة إلى وجه خصمه وجسده ، مطبقاً كل ما تعلمه
 من مدربه الكورني في دقة أذهلت غريمه ، وأعجزته عن استغلال
 مظهره الخفيف ، أو استخدام مخالبه القاتلة ..

وأخيراً قفز (ممدوح) في الهواء ككرة مطاطية ، ليركل
 خصمه في وجهه وركلة ساحقة ، طرحه أرضاً ، عاجزاً عن
 الحركة ، ثم النفض (ممدوح) مسدس من الأرض ، وصوبه إلى
 غريمه ، قائلاً :

— والآن انزع هذه الخالب السخيفة ، ودعنا نرى ماذا
تخفى تحت قناع القهيد هذا .

النصاع الرجل لأوامره ، ولزج بحاله ، ثم أراح قناع القهيد
عن وجهه ، فانتسعت عينا (مدوح) في دهشة ، وهو يتف :

— أنت ؟! .. أنت يا (هوجو) ؟! .. لماذا فعلت ذلك ؟

أطرق (هوجو) برأسه ، قائلاً في مراودة :

— إنني أنفذ أوامر (تشومى) .

مدوح :

— تشومى ؟! .. ولكنك أخبرتني أنك ..

لم يتم (مدوح) عبارته ، فقد تلقى على مؤخرة رأسه ضربة
قوية ، أسقطته فاقد الوعي ..

استرد (مدوح) وعيه بعد لحظة واحدة ، ورأى (هوجو)
والشخص الآخر ، الذى باعته من الخلف ، يقرآن ، فتجامل
على نفسه ، ونهض لمطاردتهم ، على الرغم من الآلام الشديدة
التي يشعر بها ، في رأسه وجسده ، وقد قرّر أن يعرف المكان
الذى سيلجأ إليه .

ولقد كانت الليلة مقمرة ، والأشجار تعكس ظلالاً قائمة ،



وهو يسدد في كل ذؤنة ركلة إلى وجه خصمه وجسده ..

عندما اقتحم الرجلان الأعراس القرية : وفي أثرهما (ممدوح) ،
وأصفت صرخات حيوانات الغاية وصيحاتهم مزيدا من الرهبة
على الأدغال الخيفة ، ولكن (ممدوح) كان قد عقد العزم على
مطاردة الرجلين : مهما كان حجم المخاطر التي تنتظره ..
واسرعت المطاردة ساعة كاملة ، وسط الأدغال
والأعراس ، حتى رأى (ممدوح) الرجلين ، وهما يلتقيان بنفسهما
وسط بحيرة من المياه الراكدة ، فانظر حتى وصلا إلى شاطئ
البحيرة المقابل ، ثم غاص في مياهها بدورة ، مواصلا المطاردة .
وفجأة برز أمامه ثعبان بالغ الضخامة ، شق الماء الذي بدا
وكأنه يقور ويغلي ..

بالغ الضخامة حتى لقد تصوره (ممدوح) أحدا
ديناصورات ما قبل التاريخ ..

وتراجع (ممدوح) في دُجول ، حينما فرد الثعبان من جانبيه
حاجين كأجنحة الخفاش ، كأذا يقطبان سطح الماء كله .
ورأى الثعبان يخلق في الهواء ، وينقص عليه في ضراصة ، وقد فتح
فكيه على اتساعهما ، كاشفا أنيابه الحادة الرهيبة ..

وحاول (ممدوح) أن يتراجع عن ثعبانه من غمده ، ولكن
الثعبان ، الذي بدا وكأنه قد أدرك مقصده ، واح يتبرده جسده

ضربات متلاحقة قوية سريعة ، وكأنما يحاول إجباره على
الغوص في الماء ..

وحاول (ممدوح) أن يقاسم ، على الرغم من قوة
الضربات ، ولكن الثعبان دار حوله في سرعة عارقة ، وأخذ
ينقص عليه في كل دورة ، محاولا إنشابه أيابه في جسده ،
(ممدوح) يدور حول نفسه ، محاولا تفادي القصاصات
الثعبان ، ويطلع الهواء بخنجره ، محاولا طعنه ، حتى اكتشف
دوار شديد ، ووجد نفسه يغوص في مياه البحيرة الراكدة ،
ويغيب عن الوعي ..

استعاد (ممدوح) وعيه فجأة ، فوجد نفسه سجيناً في
مكان غريب ، وقدماه عقيدتان بسلسلة معدنية في جدار
صخري ، وسط ظلام دامس ، وشعور بالآلم مبرحة في
جسده ، وإحساس بالضعف ، وبعدم القدرة على التركيز ،
فأسند رأسه إلى الجدار الصخري ، وحاول أن يعود بذاكرته
إلى الوراء ..

وخيل إليه — فيما يشه الحلم — أن لالة ونوح قد التشلوه
من البحيرة ، وغربوا به كهفاً تحته مياه شلال ، حيث كان

هناك باب معدنى تغطيه الطحالب والأعشاب المائية ، وأن هذا الباب قد تحرك بناء على أمر أصدره أحد الزلوج الثلاثة ..
كان هذا هو كل ما يذكره ، وهو فى حالة من اللاوعى ، قيل أن يفقد وعيه تمامًا ..

وبما كان يحاول تذكر المزيد فتح باب سجنه الصخرى ، ودلقت منه فتاة رشيقة ، تحمل مصباحًا ضوئيًا صغيرًا ، ووضعت أمامه إناء فخارياً يعوى بعض الطعام ، ثم همت بالتصريف دون أن تسبب شفة ، فقبض على ذراعها بكل ما تبقى له من قوة ، وهو يسألها :

— أين أنا ؟ .. ما الذى جاء فى إلى هنا ؟

أجابته الفتاة فى هدوء ، وهى تخدجه بنظرة صارمة :

— ليست لدى إجابة سؤالك أيها الأبيض ..

صاح فيها (مدوح) :

— أبيض أو أسود .. أريد إجابة عن هذا السؤال ..

أجابته الفتاة بنفس التبرة المتأدبة :

— محظوظ أن أخبرك .. إننى هنا لتقديم الطعام فحسب ..

والآن هل تسمح بترك ذراعى ؟

انفعل (مدوح) هائلاً :



وبما كان يحاول تذكر المزيد فتح باب سجنه الصخرى ، ودلقت منه فتاة رشيقة ، تحمل مصباحًا ضوئيًا صغيرًا ..

— لن أتركك قبل أن أسمع جواب سؤالى ، أو تخبرينى من
هذا القيد اللعين ..

ولكن الإعياء الذى يشعر به .. جعل قبضته تتراخى
تدريجياً ، وأنفاسه تتلاحق فى صعوبة ، فقالت الفتاة فى صوت
يحمل رلة أسى :

— من الأفضل لك أن تتناول طعامك ، فأنت شديد
الضعف والوهن ، وسأترك لك المصباح هنا ، حتى تنتهى من
طعامك .

ثم أراحته قبضته فى هدوء ، وغادرت المكان ، وأغلقت
الباب خلفها فى إحكام ، وتركته يحدق فى الباب المعدنى
لحظات ، وهو يحاول استجماع شتات ذهنه ، ثم لم يلبث أن
التفت إلى الطعام ، وأقبل عليه يلتمه فى لثمه ، وهو يغتمهم .
— أنت على حق .. إن الخطوة الصحيحة هى أن أستتر
فوق أولاً .

وأردف فى صرامة :

— وبَعْدَهَا تبدأ جولة جديدة مع (اللعنة السوداء) ..

* * *

٧ — كهف الشيطان ..

فتح باب سجن (ممدوح) مرة أخرى ، ليدلف إليه زليخان
عازيا الصدر ، بجعدا الشعر ، يرتديان سروالين قصيرين ،
ويمسك كل منهما مدفعاً رشاشاً ، وأخذ أحدهما يحلّ قيد
(ممدوح) ، ثم عاونه على النهوض ، ودفعه إلى زميله ، الذى
دفعه أمامه فى قسوة ، حتى أدخله إلى حجرة أخرى ذات جدار
صخري ، لأنها أكثر اتساعاً ورفاهية ، فأرضيتها رخامية ،
وتملأ بالأثاث الشبيه بأثاث قصور الشرق القديمة ، فالقواعد
أنيقة ، مخشوة بربش النعام ، والوسائد حريرية أنيقة لناعمة ..

وتطلّع (ممدوح) عبوراً مشدوهاً إلى تلك الحجرة ،
وخلفه يقف الزليخان ، ثم انشق أحد الجدران فجأة ، ليكشف
عن فجوة صغيرة ، تسمح بمرور شخص واحد على الأكثر ،
أو شخصين نحيلين ، وتراجع (ممدوح) منزعجاً ، حينما رأى
لهذا أسود يمرق من الفجوة ، ويتطلّع إليه فى وحشة ، وأرداد
انزعاجاً حينما وقع بصره على العصا الذى تبيع الضهد ، إلى
داخل الحجرة ، والذى لم يكن سوى (تشومى) ..

وكانت عينا (تشومى) الحافظتان تدوان أكثر وحشية
من عيني الفهد ، ولقد بدا مظهره مختلفا تماما هذه المرة ، فلقد
تخلّى عن سترته الرمادية الطويلة ، التي تمنحه مظهر الحكماء
والفلاسفة ، واستبدل بها سروالا قصيرا ، ومجموعة من العقود
المزينة ، التي تحيط بعنقه ، وتتدلى على صدره العاري ، في
مظهر لا يفتق أبدا مع خرج جامعة (السوربون) .

واتسم (تشومى) ، وهو يقول :

— ها نحن أولاء قد التقينا مرة أخرى يا مستر (ممدوح) .
هم (ممدوح) بالتحدث ساخرا ، إلا أن عيني الفهد
الطريقتين جعلتا يطبق شفاهه في حق ، فاتسم (تشومى)
لموقفه ، وصاح بأمر الفهد بالسكون والهدوء ، وذهل
(ممدوح) حيفا رأى الفهد ينصاع لأوامر سيده ، وتغشى من
عينيه تلك النظرة الوحشية ، في حين استوى (تشومى) جالسا
على أحد المقاعد الوثيرة ، وتبعه الفهد ليرقد تحت قدميه ، قبل
أن يأمر هو الرّجّلين بالانصراف ، ثم يدعو (ممدوح) للجلوس
إلى جواره .

وجلس (ممدوح) صامتا ، وهو يراقب (تشومى) ،
الذى أخذ يشعل بعض البخور في محرقة قائمة أمام مقعده .

فالطلق على الأثر دخان كثيف ، له رائحة عطرية غصرت
المكان ، وأغلق (تشومى) عينيه ، ثم عاد يلتفت لهما
ويسلطهما على الدخان ، ثم يغلظهما وكأنه يعيش لحظات تأمل
عميقة ، فقطع عليه (ممدوح) صوته ، قائلا :

— هل لي أن أعلم لماذا جئت في إلى هنا ؟ وما الذي
تحاول إلبائه بالأعنيك السحرية في المنطقة ؟

تجاهله (تشومى) تماما ، وظل مطلق العينين ، يتمتم
بعبارة مبهمة ، ثم لم يلبث أن التفت إليه ، قائلا في برود :
— لعنك مبدعش لوريتي على غذا النحر غير المألوف .
اتسم (ممدوح) في سحرية ، قائلا :

— لم يعد هناك ما يدعيتي بشأنك ، بعد كل ما سمعته
منك وعنتك .

أطلق (تشومى) ضحكة مبلحلة ، قبل أن يقول :
— إنك في الواقع شاب ذكي ، ولقد أدركت ذكاءك هذا
منذ لقائنا الأول ، ولكن عقلك — على الرغم من ذلك —
يظل فاصرا عن فهم ما نراه هنا ، فهو يفوق قدراتك العقلية ،
ويتجاوز حدود منطقك .

ممدوح :

— هذا ما حاول أن توهم به الآخرين ، وقد تنجح في خداع
الأهالي والباطاء هنا ، ولكنك لن تنجح في خداعي أنا .

انسم (تشومي) ، وتطلع إليه وهو يقول :

— وماذا عن ذلك الاحتياقي ، الذي شعرت به في حديقة
ليلى ، والعبان الجشح ، الذي هاجك في البحيرة ، والدوار
الذي أصابك ، ألم تنس بعد كل هذا بأنك تواجه قوى خارقة
للطبيعة .

مدوح :

— إذن فأنت تعترف بأنك خلف كل هذا ، وأنت وراء كل
الحرام والظواهر الشريرة ، التي تحدث في المنطقة ، وأنه
لا وجود للعنك السوداء المزعومة ، التي حاولت إقناعي بها في
لقاتنا الأولى !

تشومي :

— أنت على حق .. لا توجد لعنات ، ولكن هذه الأرض ،
التي تقيمون السد فوقها ، مقدسة بالنسبة لي ، ولأتباعي ، وأنا
لا أريد أن يتم مشروع السد هذا ، وسأعمل على متعده ، بالرغم
من معارضة حكومة (الحايون) ، وإذا ما أصرّت الحكومة على
المضي في المشروع ، على الرغم من كل ذلك ، فسنستحضر

كل قوى الشر في الكون ، لنحيل المنطقة كلها إلى أرض لعة
حقيقية .

مدوح :

— وهل أحضرتني إلى هنا لتبلغني ذلك فحسب ؟

تشومي :

— كلاً بالتأكيد ، ولكنني أردت منك أن تدرك خطورة
الأمر ، قبل أن أكلّفك تنفيذ ما سأطلبه منك .. فلقد أرسلتك
حكومتك إلى هنا لتعّد تقريرك حول حقيقة ما يحدث في
(ماكوكو) ، وستكتب هذا التقرير أمامي الآن ، وستوضح
ليه مدى المخاطر التي تحيط بالمكان ، والتي لن نتجدها تفسيراً ،
وسنؤكد أن حياة مواطنيك في خطر داهم ، لو استمر تنفيذ
المشروع ، وأريد منك أن تكتب كل هذا بأسلوب واضح ،
وتظهره بتوقعك .

انسم (مدوح) ، قائلاً في سخرية :

— وبعدها ترسل التقرير نيابة عني ، مصححاً بحيثى ..
ليس كذلك ؟ .. إن هذا يتضمن أن نحدث التقرير أبلغ الأثر في
غوس مسئولى الدولتين ، وبمعتان عن الماضي في المشروع ، بعد
أن تعترض حكومتاهما ، ومجلساهما النيابيان ، وفي نفس الوقت

تكون قد غلّصت من الشاهد الوحيد ، الذي أطلّعه على
سرك ، وهو أنا ، وتضمن بذلك أنه لن يوح أبدا بما لديه ،
ولن يمكنه إثبات أن (تشومى) الفيلسوف المفكر ، والساحر
العساق ، والأب الكبير ليس سوى دجال ، يستخدم حيلة
شريرة لث الرغب في القلوب ، وليضمن السيطرة على البطاء
من أهل (الجابون) ، وتحقيق مآربه وأهدافه الخاصة .. كلاً
أيا الدجال .. هذا لن يكون .

ومعه (تشومى) بظرة ناقبة من عينه الجاحظتين ، وقال :
— ألم أقل لك إنك شابٌ ذكي ؟ .. ومع ذلك فلا فائدة
للكائنك ، أمام قوتي العاتية .
وصفّق بكفيه ، دون أن يرفع عينه عن عيني (ممدوح) ،
وهو يستطرّد :

— وستكتب التقرير الذى طلبته منك الآن ، وستمهره
بتوقيعك ..
أحضرت أحد الزنوج رزمة من الورق ، وقلّماً ، ووضعها أمام
(ممدوح) ، وانصرف ، في حين عقد (تشومى) ساعديه
أمام صدره ، وركز نظراته الحادة الناقبة على عيني (ممدوح) .
مردفاً :

— هيا أتيا المقدم .. إننى أنتظر تقريرك .

القط (ممدوح) القلم في دهشة ، فهو قلّمه الخاص ،
الذى كان يحمّله في أثناء مطاردته للرجلين ، ولقد كشف أنهم
قد جرّوه من كل ما كان يحمّله ، حتى حزامه الخاص ، المجهز
بأسلحة خفية لمواجهة المخاطر ، عندما استردّ وعيه ، ولكن هذا
القلم أيضاً من أسلحته السرية ، فهو مزود بأبوين خاصين :
أحدهما يحركه زرٌّ أزرق ، ويستخدم في الكتابة العادية ، والآخر
يحركه لولب أحمر ، ما إن يضغطها حتى تنطلق كالرصاصة ،
حاملةً إبرة مخدرة سريعة المفعول ..

إن من أرسل إليه هذا القلم قد فحصه أولاً ولا شك ،
وأدرك سرّه ، وأراد معاونته بإرساله إليه ، ولكن من هو هذا
الشخص ؟

لم يحاول (ممدوح) أن يجهد عقله بتعريف الرجل ، الذى
أرسل إليه القلم الخاص ، وإنما حصر تفكيره في كيفية
استخدامه الأمثل ، في ظل هذه الظروف ..

كان أمامه كائنات ، يتطلعان إليه شديداً ، وكلاهما لا يقل
خطورة عن الآخر .. الفهد الأسود ، والعساق الأسود
(تشومى) ، وفرز (ممدوح) أن يتخلّص من الفهد أولاً ،
حتى يمكنه مواجهة الشيطان وحده ..

وبالفعل أمسك (مدوح) القلم ، وتظاهر بأنه يكتب
 التقرير ، الذي طلبه (تشومى) ، وصوب لوحة القلم نحو
 الفهد ، ثم ضغط اللولب الأحمر ، وانفدع الأنبوب من القلم
 كالقذيفة ، واستقرت إبرته المخدرة في جسد الفهد ، الذي لم
 يكده يشعر بوخزتها حتى هبّ واقفاً ، وهو يزجر في غضب
 ووحشية ..

وهبّ (تشومى) من مقعده متسقطاً ، وصاح في غضب
 صارم ، وهو يتطلع إلى الإبرة المخدرة ، التي انغرزت في جسد الفهد :
 — ما الذى فعلته بفيهدى أياها الحقير ؟

أجابته (مدوح) منهكاً :

— لقد أزعجتني عن طريقنا فحسب ، لأفصح أحوال لناقشة
 شخصية بيننا .

صاح (تشومى) في حدة وغضب :

— سأجعله يموتك إرباً ، جزاء ماورثك السخيفة .

ثم استدار إلى الفهد ، صائحاً :

— اقله يا (توبيا) .

تحفز الفهد لتنفيذ أوامر سيده ، وعقد (مدوح) حاجيه
 في قلبه ، داعياً الله (سبحانه وتعالى) أن يأقى المخدر بمفعوله
 سريعاً ، حتى لا يضطر للتصارع مع ذلك الوحش ..



وعقد (مدوح) حاجيه في قلبه ، داعياً الله (سبحانه وتعالى) أن يأقى
 المخدر بمفعوله سريعاً ، حتى لا يضطر للتصارع مع ذلك الوحش ..

ولحاة تمايل الفهد ، وترشح ، وقد برى الخلد في جسده ،
ثم خر لحاة فاقد الوعى ، فتنس (مدوح) الصعداء ، وتحول
إلى (تشومى) قائلا :

— الآن يمكننا تصفية حساباتنا في هدوء ، دون حارسك
الخاص .

انتزع (تشومى) ، في حركة سريعة ، حربتين معلقين فوق
الجدار الصخري المجاور ، وتألفت عيناه ببرق مخيف ، وهو
يصوبهما نحو (مدوح) ، قائلا بصوته الأجش الصارم العميق :
— حسنا أيها المقدم ، سنصفى حساباتنا معا ، مادمت
تريد ذلك .

وأخذ يتلاعب بالحربتين في سرعة مذهلة ، وبراعة خرافية ،
وهو يتقدم نحو (مدوح) ، مستظرفا في شراسة غاضبة :
— وتغلب ألمه ما من أحد يمكنه أن يهزم (تشومى) !!
لا أحد !!

٨ — صراع ضد الشيطان ..

كان (مدوح) مجردا من أى سلاح ، في مواجهة خصم
يجيد استخدام أسلحته في براعة مذهلة ، ويعرف متى وكيف
وأين يسدد طعناته القاتلة ، ولم يكن أمام (مدوح) سوى
استخدام أسلحته الطبيعية .. قضيته وقدميه ، ومهارته في فنون
القتال اليدوى ..

وكان عليه أولا أن يقلل من سرعة خصمه وتحكمه في
أسلحته ، فتجاهل الحراب ذات الأطراف الحادة المدببة ،
والدفع كالصاعقة ليهوى على ساق (تشومى) بضربة قوية ،
أصابت هذا الأخير بالآلام مبرحة ، وحقق الهدف منها ، فقد
طغى إحساس (تشومى) بالألم على سرعته ومهارته ، إذ توقف
عن التلاعب بالحربتين لحظة ، وهو يضغط أسنانه في ألم ،
وكانت هذه اللحظة تكفى (مدوح) ، فقفر في الهواء ، ورفع
قدميه لينتزع إحدى الحربتين بهما من يد (تشومى) ، ثم دار
حول جسده في دورة عكسية سريعة ، وقد انتقلت الخربة إلى

قضته ، مطلقاً ما تعلمه من مدونه الكورنى ، وقال
لـ (تشومى) فى صرامة :

— الآن يصبح قتالنا متعادلاً أيها الدجال .

استرد (تشومى) جأشه سريعاً ، على الرغم من ذهوله من
براعة خصمه ، ولوح بحريته فى الهواء ، وهو يقول فى صرامة :

— غطيتُ أنت لو تصوّرت أنه من الممكن أن تتعادل مع
(تشومى) أيها المغرور .

تحلّل لـ (مدوح) أن يعنى (تشومى) تزدادان جحوظاً ،
وتشعلان يريق مخيف ، وسمعه يقول فى صوت أقرب إلى
الضحك :

— حسناً أيها المغرور ، دعنى أعلمك شيئاً لم تر مثله من
قبل .. إنك ستترك تلك الحرية الآن ، وستفعل ذلك دون
مقاومة ، وتركيها تسقط أرضاً ، لأنك عاجز عن استخدامها .

شعر (مدوح) بذراعه متصلب ، كما لو أصابها ذلل ، ثم لم
يلت هذا الذلل أن امتد إلى نصفه الأيمن كله حتى ساقه ،
وتصلب منه العرق غزيراً ، على الرغم من القشعريرة التى
التابت ذراعه ، وبدأ له وكأن قوى خفية تحيره على فتح أصابع
يده العاجزة ، لتسقط منها الحرية إلى الأرض ..

وأطلق (تشومى) ضحكة هستيرية ساخرة ، وهو يقول :
— أنت عاجز .. ضعيف .. لا قدرة لك على القتال
ومعصورك الحصى هو الموت .. الموت ..

كان (مدوح) لا يزال واعياً لما يحدث حوله ، على الرغم
من عجزه عن الحركة ، ولقد أدرك أنه واقع تحت تأثير مغناطيسى
غامض ، ينبعث من عيني ذلك الشيطان ، فحرك قدمه اليسرى
فى ببطء ، واطمأن إلى أنها تتحرك ، فقد كان هذا يعنى أن
(تشومى) لم ينجح إلا فى السيطرة على نصفه الأيمن فقط ،
دون الأيسر ، وراه يتقدم نحوه بحرية المدبّة - وعينه تحاصرانه
بإشعاعيهما المغناطيسى ، ويرفع حرته ليطعنه بها منبها حياته ..

وفى لمح البصر ركل (مدوح) الخرقه ، القائمة بينه وبين
غريمه ، يقدمه اليسرى ، فانبعت منها دخان كثيف فى وجهه
(تشومى) ، وتطايرت جمراتها الصغيرة المشتعلة لتصيب
وجهه (تشومى) وجسده ، فأطلق صرخة مدوية ، وهو يتراجع
مغلّقاً عينيه ، مما أزال سيطرته على (مدوح) ، فاسترد قدرته
على الحركة ، ولكن الصرخة التى أطلقها (تشومى) أنهت
أعوانه ، فاندفع ثلاثة منهم إلى الحجيرة ، مدججين بأسلحتهم ،
وما أن رأوا ما أصاب زعيمهم حتى شهبوا مدافعهم الرشاشة فى

وجه (ممدوح) ، الذى فرجى بالفتحامهم المكان ، ولم يجد
أمانه وسيلة للفرار .. وأدرك أنها النهاية ..
نهاية عملية (اللعبة السوداء) ..

فجأة تبدلت كل الأمور دفعة واحدة ، فقد هوى اثنان من
الزوج الثلاثة صرعى ، وقد استقرت في ظهر كل منهما حربة
قوية ، وظهر خلفهما (هوجو) ، والقناة الزخية التى قدّمت
الطعام لـ (ممدوح) في سجنه ، وتحول الزخى الثالث إليهما في
ذهول ، ثم لم يلبث ذهوله أن تحول إلى غضب جامح ، وهو
يصوب إليهما قرصه مدفعه الرشاش ..

وقبل أن يطلق الزخى رصاصة واحدة النقط (ممدوح)
الحربة ، التى أسقطها من قبل ، وطعنه بها في عنقه بقوة ،
فلذت منه إلى الجانب الآخر ، وهوى الرجل صريعاً ، في نفس
الوقت الذى اندفع فيه (تشومى) نحو (ممدوح) ، وهو
يصرخ في وحشية ، لفشاده (ممدوح) في سرعة ، وهوى على
فكه بلكمة قوية ألقت به أرضاً ، وحاول أن يعقبها بأخرى ، إلا أن
(هوجو) صاح به قائلاً :

— لا وقت لذلك .. هيا بنا قبل أن يصل الآخرون ..

تخلّى (ممدوح) عن (تشومى) ، وهو يقول :
— سنلتقى مرة أخرى أيها الدجال ..

ولم ينس وهو يغادر المكان أن يلتقط أحد المدافع الرشاشة ،
التي سقطت من رجال (تشومى) ، وانطلق في البر (هوجو)
والقتاة ، وهو يسألها في خيرة :

— في أى جانب أننا ؟

أجابته (هوجو) :

— دعنا نغادر كهف الشيطان هذا أولاً ، ثم اطرح ما نخلو
لك من أسئلة بعد ذلك ..

كانوا يقدّون نحو الباب الخارجى للكهف ، حينما اعترض
طريقهم فجأة خمسة زنوج مسلحون ، وأطلقوا نحوهم سيلاً من
الرصاصات ، أصابت إحداها كصف (هوجو) ، في حين
مرقت الأخرى بين شعر (ممدوح) ، وصرخت القتاة على مرمى
الدم الذى سال من جرح (هوجو) :

— أوى .. أوى ..

جذبهما (ممدوح) خلف حاجز صخري كبير ، ليحموا به
جميعاً ، ثم تبادل إطلاق النار مع مهاجميه ، ونجح في أن يحدد
ثلاثة منهم ، قبل أن يفرغ مدفعه الرشاش ، من الطلقات ،

ويجد نفسه عاجزاً عن التصرف ، فالتزع (هوجو) سكيناً
كبيراً ، كان يخلقه برباط حول ساقه ، وقدمه إلى (ممدوح) ،
قائلاً :

— هل يمكنك أن تستفيد بذلك ؟

تطلع (ممدوح) إلى السكين ، وحس في تفكير :
— المنطق يقول إنه لن يفيد إزاء رجلين مسلحين بالمدافع
الآلية ، ولكن لو استخدمناه بكاء فقد ..
بتر غبارته ، وهو يستغرق في التفكير مرة أخرى ، ثم تناول
السكين من (هوجو) ، ودسه في حزامه ، وأسدل عليه
قميصه ، ثم أمسك مدفعه الرشاش بكف يمينه ، ورفع
عالياً من خلف الجدار الصخري ، معلناً استسلامه للرجلين ..



٧٠

٩ — رحلة الأسرى ..

اقرب الزنحيان من مكمن (ممدوح) و (هوجو) وابنته في
خذر ، وقال أحدهما في صرامة :
— ألق مدفعك أرضاً أيها الأبيض ، وأخرجوا جميعاً والمعين
أيديكم إلى أعلى .
ألقى (ممدوح) مدفعه أرضاً ، وتقدم واقفاً يديه فوق
رأسه ، يتبعه (هوجو) وابنته ، ولم يستطع (هوجو) الاحتفاظ
بيده عالياً بسبب كفه المصابة ، فخفضها قائلاً :
— لا يمكنني أن أواصل هذا الوضع ، فكفني تؤلني .
صرخ (ممدوح) فجأة :
— كلاً يا (هوجو) .. لا تحاول استخدام مسدسك ..
لن نجد هذا .
تطلع إليه (هوجو) في ذهشة ، في حين قال أحد الرجلين
في صوت أمر :
— احفظ يديك أعلى رأسك ، وإلا ألحقت رأسك
بالرصاصة .

ثم التفت إلى زميله ، قائلاً :
— فنته جيّداً .

تقدم الرجل نحو (هوجو) حاملاً سلاحه ، في حين وقف زميله يراقبه في خذر ، وقدر (ممدوح) المسافة بينه وبين (هوجو) بنصف المتر ، وانتظر اللحظة التي اغنى فيها المسلح ليفتش جيوب (هوجو) ، وانقضّ عليه كالبرق ، ولفّ ساعده حول عنقه ، وامتلأ سكينه ليطعن به الرنخي طعنة تحلاء ، وهو يتخلده درغاً يقبه وصاصات زميله ، ثم أدار مدفع الرنخي القليل نحو زميله ، وضغط زناده ، فانطلقت وصاصاته تحصد الرنخي الآخر ، ثم تغلّص من الرجل الأول ، وهو يقول لـ (هوجو) :
— لقد تغلّبت الحدة على المنطق ، هيا بنا .

أسرعت ابنة (هوجو) تحرك ذراعها معدنية بجوار الباب ، الذي انفتح في ببطء ، فاندفع الثلاثة خارجاً ، مقتحمين مياه الشلال ، وتعاون (هوجو) والقناة على نقل الأخير عبر بحيرة المياه الواكدة ، وما أن وصلوا إلى الجانب الآخر حتى أرقد (ممدوح) (هوجو) فوق العشب الأخضر ، ليسترخ قليلاً من عناء السباحة ، ولكن (هوجو) قال في ضعف :
— سامحني أيها الصديق ، لقد اضطررت للتعاون مع



ثم أدار مدفع الرنخي القليل نحو زميله ، وضغط زناده
فانطلقت وصاصاته تحصد الرنخي الآخر .

(تشوي) ، بعد أن نقل له أحد جوابه ذلك الحديث ،
الذي دار بنا في منطقة البناء ، فاحتفظ ابنتي ، واتخذها راحة
كمي أخضع لرغباته ، ثم أمرني بوضع عدد من الدقي المسحورة
داخل حجرتك ، وعندما فاجأني اضطرت لمهاجتك ، لأن
فشل في مهمتي كان يعني القضاء على ابنتي الوحيدة ، ولكنهم
بعد أن أحضروك إلى كهف الشيطان ، قررت أن أتعاون مع
ابنتي لإنقاذك ، ومساعدتك على الفرار .

ممدوح :

— لا تجهد نفسك بالحديث ، لقد نزلت الكثير من
دمالك .. دعنا نأمل أن ننجح في الوصول إلى الوحدة العلوية
بسر (كاتون) ، قبل أن يلحقوا بنا .

تحاصل (هوجو) لينهن ، ولكنهم ما أن خطوا بضعة
خطوات ، حتى وجدوا أنفسهم محاطين بعشرات من رجال
القبائل ، الذين انقضوا عليهم من بين الأشجار ، ومن فوقها ،
ليحيطوا بهم شبه عراة ، وفي أيديهم الببال والرماح ، والنصقت
الفتاة بأبيها ، وهي ترتجف زعجا ، في حين أخذ أحد رجال
القبائل يصرخ بكلمات مبهمة ، ترجمها (هوجو)
(ممدوح) ، قائلا :

— إنهم يريدون منا أن نسر معهم .

تطلع (ممدوح) إلى عشرات السهام والحراب المصونة
النهم ، وقال :

— يبدو أنه لا مناص من الاستسلام هذه المرة ، فالكثرة
تطلب الشجاعة ..

سار الثلاثة وسط رجال القبائل البدائية ، مخترقين الأذغال
الكثيفة ، التي تبدو الأشجار المتشابكة فيها كمظلة واقية ،
تخجب أشعة الشمس ، وقطع الجمع مسافة غير قصيرة سيرا
على الأقدام ، وبذل (ممدوح) جهدا مضاعفا للعناية
بـ (هوجو) ، الذي كان في حالة شديدة من الإعياء ..

وفجأة وب فجأة إفرقي مرقط من فوق أحد الأشجار ،
ليفص على أحد رجال القبيلة ، لينشب فيه مخالبه ، وعمم الدعر
بين رجال القبيلة ، وساد بينهم المرح والفرح ، وهو يطلقون
بماحهم وأسهمهم نحو الفهد ، الذي بدا متشبها بفريسته حتى
الموت ، والتيز (ممدوح) الفرصة ليتعلق بأحد الأغصان ،
ويخفي وسط الأشجار المتشابكة ، تتبعه عشرات السهام
والرماح ، وصرخات الغضب والسخط من أفراد القبيلة ..
واستغل (ممدوح) بواعثه كلاعب جبار سابق ، ولياقته

العالية للقفز من شجرة إلى أخرى ، حتى انحطى عن الأنظار تماماً . ومن موقعه الجديد راقب رجال القبيلة وهم يواصلون بحثهم عنه ، حتى استد بهم اليأس ، فواصلوا سيرهم مكثفين بالأسيرين الآخرين . وما أن ابتعدوا عن المكان حتى عاد إليه (ممدوح) ، والقط أسلحة الرجل الذى صرعه الفهد قبل موته . وعاد يتقل بين الأشجار متوارياً بأغصانها ، متابعاً مسيرة القبيلة ، التى استقر بها المقام أخيراً فى منطقة عشية منبسطة ، تنال فيها أكواح القبيلة ، ويتوسطها ولئن صخرى ذو ملامح مخيفة .

واستقبل عجائز القرية ونساءها وأطفالها العائدين فى ترحاب ، وهم يتخوفون حول الأسيرين فى سعادة بالغة ، كما لو كانوا قد طفقوا يولعوا بولعة عظيمة ، ثم اقتيد الأسيران إلى أحد الأكواح ، وساد الهدوء فترة ، وغلت الساحة إلا من حراس المكان .

وشعر (ممدوح) بحاجته الشديدة إلى النوم ، بعد ذلك الجهد المضنى الذى بذله ، فأسنده رأسه إلى جذع الشجرة ، التى يكمن فوقها ، واستسلم للنوم .

ولم يكد الليل يرخى سدوله ، حتى هب (ممدوح) مستيقظاً فجأة ، على صوت ضجة عالية ، بددت سكون الليل ، ومن مكمنه رأى (ممدوح) (هوجو) وابنته ، وقد قيد كل منهما إلى جذع شجرة ، فى مواجهة الولن الصخرى ، وتحيط بهما حفرة من التران والذهب ، وحولهم أفراد القبيلة يرقصون على إيقاع الطبول .

كانا الضحية الجديدة للضيم الصامت المخيف .



١٠ - الأفيال الثائرة ..

ظل أفراد القيلة يرقصون في هستيريا ، وقد تغالت دقات الطبول ، لفترة طويلة ، ثم لم يلبث أن خرج من أحد الأكواخ عملاق أسود ، بجلاء وجهه بأصابع صارخة الألوان ، تزيده بشاعة ، وقد التف حول عنقه عدد من العقود ، التي تحمل ألياب الحيوانات ، وقد أحاط خصمه بفراء ثمر ، وأمسك في يده عصا غليظة ، تعلوها جمجمة بشرية ، وأخذ يصرخ ويصيح بكلمات غريبة ، وهو يشير إلى الأسويين بعصاه ، ومع إشاراته تعالى صيحات أفراد القيلة المسيرة ، وتغنن (ممدوح) في وجه الرجل ، لينين أنه (تشومى) ..

والف أفراد القيلة حول (تشومى) ، يتبعون إشاراته في خضوع وتقديس ، مما أثار دهشة (ممدوح) من هذا الرجل ، الذي يبدو أحيانا في صورة فيلسوف حكيم ، وأحيانا أخرى في صورة زعيم مشغوف ، يتخذ من أحد الكهوف ملاذا ومخأ له ، مرة تالفة بتقمص صورة ساحر يدافى ، تخضع له القبائل إلى حد

التقديس .. ومن العجيب أنه يعرف كيف يؤثر فيمن حوله ، في كافة صوره وأحواله ، وهاهوذا يسعى لاستغلال معتقدات أولئك البدائيين ، للتخلص من خصومه ، غير بعض الطقوس الحمجية ..

وسمع (ممدوح) صوتا عجيبا يأتي من خلفه ، فأسرع بتقل بين الأشجار ، ليحد أسفلها قطيعا من الأفيال ، يتجه بخطوات ثقيلة إلى الأرض العشبية ، التي تحيط بأكواخ القيلة ، وهنا هداه تفكيره إلى استغلال هذا القطيع لإنقاذ (هوجو) وابنته ، فأسرع بقلب باقة قميصه ، ويخرج منها سلكا رفيعا ، يحاط بمنطقة فوسفورية ، ومزق جزءا من قميصه ، وربطه في عنابة حول رأس أحد الأفيهم ، ثم حلك طرف السلك الفوسفوري بجذع الشجرة ، ليحدث شرارة ، قرب منها السهم ، فاشتعلت النيران في قطعة القميص الملتهبة حوها ، ثم وضع السهم في وتر القوس ، وأطلقه ليستقر وسط قطيع الأفيال ، فاشتعلت النيران في الأعشاب الجافة ، وامتدت بسرعة ، مما أثار فرح قطع الأفيال ، فاندفعت تعدو في سرعة ، محاولة الهروب من اللهب ، في نفس اللحظة التي كان (تشومى) يصدر أوامره فيها لإشعال النيران في الأسويين .

وتقدم رجال القبيلة إلى حفرة الذهب ، ليشعل كل منهم منها
مشعلًا ، ثم يقدفه نحو جذع الشجرتين ، اللتين أولق إليهما
(هوجو) وابته ، ليشعل فيهما النيران ، وترحف نحو
جسديهما ، في حين ارتفعت صرخات أفراد القبيلة
وصرخاتهم ..

وفجأة اقتحم فريق الأفيال النائرة المكان ، وحطمت أكواخ
القبيلة في اندفاعها ، ودهست أفراد القبيلة تحت أقدامها
الصخمة ، وانتشر الرعب والفرع ، وتوقف الجميع عن ممارسة
طقوسهم المضحجة ، وهم يتدافعون ويتصارعون للفرار
بأرواحهم .. وتردد (تشومي) لحظة ، ثم انطلق يحاول الفرار
بدوره .

والتهز (ممدوح) حالة الرعب والفضاضة ، التي سادت
المكان ، ليش من فوق الشجرة ، ويعدو سريعًا نحو أرض
القبيلة ، والنقط خنجر أحد الأفراد القتل ، وقفر قفزة هائلة ،
متخطيًا حاجز النيران الخط بالأسويين ، ثم أخذ يترق قيود
(هوجو) وابته ، ونجح في تحريره قبل أن تصل إليهما السنة
النيران ، وهو يهتف في ارتياح :

— جدًا لله .. لقد وصلت في الوقت المناسب .

كان (هوجو) في حالة بالغة من الإعياء ، إذ كان جرحه
يواصل نزفه ، وقد تلوث على نحو بشع ، وما أن حرره
(ممدوح) حتى تهاوى فاقد الوعي ، فركعت ابته إلى جواره ،
وهي تهتف في جزع :

— أوى !! أوى !!

حاول (ممدوح) أن يث فيها الأمل ، قائلاً :

— تشجعي .. ستنجح في إنقاذه .

كانت النيران قد أنت على جذع الشجرة من أسفل ،
فتهاوت أرضًا ، ونجح (ممدوح) في زحزحتها ، ليضع منها
معبرًا فوق حفرة النيران ، وساعد الفتاة وأباها على العبور إلى
الجهة الأخرى بصعوبة بالغة ، حيث كانت الأفيال قد غادرت
المكان ، بعد أن خربت تمامًا ، وتهاوى (هوجو) مرة أخرى ،
فأمسك (ممدوح) بذراعه ، ليعاونه على النهوض ، إلا أن
(هوجو) قال في ضعف :

— (إنني أشعر بالموت يقترب مني .. لا ترمق نفسك

بتحمل عبء معاونتي .. اهتم بابنتي ، واتركني هنا .

حاول (ممدوح) أن يمنعه من الاستمرار في الحديث ،
قائلاً :

— لا تقل هذا .. إلك شفقى و

قاطعه (هوجو) قائلا :

— لا وقت للكلام .. أنت تعلم مثل أنى لم يعد هناك أمل .. أوصيك برعاية ابنتى من بعدى ، فلم يعد لها أحد بعد موق ، وعذنى بالانتقام من (تشومى) .. عذنى بذلك .. ظهرت علامات التأثر على وجه (ممدوح) ، وهو يقول :

— أعذك يا (هوجو) ..

أغلق (هوجو) عينيه فى ارتياح ، وهو يقول :

— شكراً لك ..

ثم ارتخت يده ، ولفظ أنفاسه الأخيرة ، فألقت ابنته رأسها على صدره ، وهى تكي وتتنحب ، فى حين انهك (ممدوح) فى حفر قبر له ، وبينما كان يفعل رأى أحد رجال القبيلة ، وهو يدفع نحو الفتاة ، محاولاً طعنها بحرفته ، فأسرع يطلق عليه أحد السهام ، ويرديه قتيلاً ، ثم استأنف الحفر ، حتى دفن (هوجو) ، وقال لابنته :

— لقد كان أبوك رجلاً شجاعاً ، تصدى لرجل يحشاه الكثيرون ، وعليك أن تتخذى شجاعته مثلاً لك ، وتغلى على أحزانك و ..

بتر عبارته فجأة ، حيناً سمع صوت أبهى فى السماء ، فطلع إلى أعلى ، ورأى من بين الأغصان طائرة هليكوبتر تحلق فوق المكان ..

وخفق قلبه بشعور غامض بالقلق ..





هنا اندفع (ممدوح) والفتاة بعدوان نحو الأشجار ، و (ممدوح) يسأها
 - هل تعرفين الطريق إلى سد (كاتون) ؟ -

١١ - عيون شريرة ..

جذب (ممدوح) الفتاة ليتوارى معها داخل أحد
 الكوخ ، التي نجت من ثورة الأفيال ، في حين واصلت
 المليونيرات تخليقها حول المكان لمدة دقيقة ، ثم ابتعدت حتى
 اختفت خلف الأشجار ، وهنا اندفع (ممدوح) والفتاة
 بعدوان نحو الأشجار ، و (ممدوح) يسأها :

- هل تعرفين الطريق إلى سد (كاتون) ؟

أجابته الفتاة :

- نعم .

ممدوح :

- اذهبي إلى هناك إذن ، وسألتقي بك .

الفتاة :

- أين ستذهب ؟

لم يصل سؤالها إليه ، إذ كان قد ابتعد كثيرا ، وسلق
 إحدى الأشجار ، وقفز منها إلى أخرى فأخرى ، وهو يصيح أزيز

الهابيكوتير ، حتى توقف أنزها ، فعلم أنها قد هبطت في موقع قريب ، وواصل قسره من شجرة إلى أخرى ، حتى لاحظ له الهابيكوتير رابضة في منطقة تربية جرداء ، تحيط بها مجموعة من الشجيرات الصغيرة ، فقفز إلى الأرض ، وزحف بين الأعشاب ، حتى استقر به المقام خلف مجموعة من الشجيرات الصغيرة ، وأتاح له موقعه مراقبة الهابيكوتير عن كثب ، ورأى رجلاً أبيض يقف إلى جوارها حاملاً مدفعاً رشاشاً ، وقد بدا واضحاً أنه لا ينتمى إلى شعب (الجابون) ، ثم فرجى (تشومى) يأتي من خلف الهابيكوتير بحسده العسلاى ، وبشرته التي تلطخها الأصباغ ، وبصحته رجل أبيض آخر ، مسلح بمدفع رشاش من الطراز نفسه ، وبدا (تشومى) وكأنه يوسل للرجل الأخير ، فأرهمف (ممدوح) سمعه ، ليسمعه يقول للرجل ، الذى بدت ملامحه جامدة صارمة :

— لقد فعلت كل ما يوسعى ، ولم أتهاون أبداً في خدمتكم .
أجابه الرجل في جفاء ، وهو يثبت منظاره الطي فوق أنفه :
— لقد ارتكبت الكثير من الأخطاء ، منذ وصل ذلك المقدم المصرى إلى (الجابون) يا (تشومى) .
تشومى :

— لقد حاولت أن أحصل منه على تقرير يبيد خطورة استمرار المصريين في العمل بالسد .
قال الرجل في غضب :

— هذا صحيح ، ولكنه لحج في الحرب ، دون أن يكذب حرفاً واحداً في التقرير . . أليس كذلك ؟ . لقد حذرتك من قبل ، وأخبرتك كيف يشكل هذا الرجل خطورة بالغة ، وظلت منك أن تتخلص منه فور وقوعه بين يديك ، ولكنك تركته يُقِلت ، بل تركته يطلع على حقيقة الدور الذى تؤديه ، وهذا يعنى أنك أصبحت مهدداً بالوقوع في أيدي السلطات في أية لحظة ، وكشف أمرنا ، وأمر الدور الذى تلعبه لحسابنا ، وهذا يهدد دولتنا بفتيحة في (إفريقيا) ، بل في المجتمع الدولى بأسره . . إن اسم (ممدوح عبد الوهاب) في أية عملية ، يعنى القتل لنا دائماً .

قال (تشومى) ، وهو يحاول أن يبدو ثابتاً :
— الوقت لم يفت بعد ، فهو لم يغادر (ماكوكو) بعد ، وأعدك ألا يغادر هذه الأدغال حياً .
قال الرجل في سخرية :
— بل فات الوقت يا (تشومى) . . إننا لا نتهاون مع

الخطا ، مهما بلغ صغره . فعملنا يتغير ذوقا بالدقة والسرية
البالغة ، وهذا لا ينطبق عليك .

ثم صوب إليه فؤدة مدفوعة الرشاخ ، ولكن (تشومى)
حدده بنظرة حادة ، وهو يطلع إليه في ثبات ، فاهتزت
البندقية في يد الرجل ، وارتعشت أصابعه ، وانهمر من وجهه
العرق غزيرا . ولكن زميله انبى إلى ما يحدث ، فألقى فؤدة
مسدسه مؤخره رأس (تشومى) ، وهو يقول في صرامة :

— اغمض عينك أيها القرد الأحمق ، فأنت تعلم أن
الغابات لن تجدى معنا ، وما كنت لا تجوز على مواجهة الموت من
الأمام ، فأسكن رصاصي في مؤخرة رأسك .

أغمض (تشومى) عينه ، وهو يقول :

— هل تظنان أن قنلى سمع كشغف المؤامرة ؟ لقد
أطلقت أعوانى على جميع الأسرار والغامضات ، وهم يعرفون جيدا
ذورهم . إذا ما قتلناى .. إنهم سيكشفون للعالم كله لغزا
المشتركة ، فلقد كنت أتوقع موقفكما هذا ، واتخذت احتياطاتي
الكاملة

استرد الرجل ذو النظار سيطرته على نفسه ، وهدأت
ارتعاشه ، وصاح في غضب ، وهو يضع سبابه على زناك مدفوعه
الرشاش :

— لا تستمع إلى هذا القرد ، إنه يحاول كسب المزيد من
الوقت .

نبرة الآخر ، قائلا :

— تحالك نفسك يا (ليكان) ، ربما كان صادقا .. يجب
أن تعلم أنا مطالبان بمحو آثار هذه العملية تماما .

كان (ممدوح) يراقب ما يحدث من وراء الشجيرات
القصيرة ، حينما سمع صوتا من خلقه يقول :

— ما الذى فعله هنا أيها القار ؟ .. ألا تعلم أن التخلص
على الآخرين قد يكلفك حياتك ؟

استدار (ممدوح) إلى مصدر الصوت ، وهو يرقد أرضا ،
فوجد خلفه رجلا متوسط القامة ، أبيض البشرة ، له شارب

قصير ، يصوب إليه مسدسه ، مستطردا :

— امهض ، وتقدمنى رافعا ذراعيك .

أطاعه (ممدوح) في استسلام ، ، وتقدم رافعا ذراعيه ،
ومسلس الرجل ملتصق بظهوره ، وما أن رآه الرجلان الآخران
حتى علت الدهشة وجهيهما ، في حين قال هما زميلهما :

— لقد وجدت هذا الوغد يتلصص عليكم ، في أثناء
تأميني المنطقة .

أبسم الشخص ذو المنظار ، وقال وهو يثبث إظهاره فوق
ألفه :

— يا لها من ضربة حظ موفقة !! لقد عثرت على الرجل
المنشود ، فهذا هو المقدم (ممدوح عبد الوهاب) ، رجل إدارة
العمليات الخاصة المصرية .

أبسم (ممدوح) في ثبات ، وهو يقول :
— يسعدني أن أكون شهيروا إلى هذا الحد ، على الرغم من
أننا لم نتعارف من قبل .

القلب سحرة الرجل ، وهو يقول :
— ولكنني أعرفك جيدا أيها المقدم ، فلدي ملف كامل
عنك في مخبراتي الاسترناية .

وعلى الرغم من المفاجأة ، تظاهر (ممدوح) بالإنمالة ،
وهو يقول :

— انقل نحياي إلى مخبراتك الاسترناية ، فهي تولي عناية
خاصة .

أجاب الرجل في سحرية :
— بل سأنقل إليها جنك أيها المتحذلق .
لم يكذب عارته حتى انطلق من خلف الشجيرات الصغيرة

سهم ، أصاب الرجل الذي يصوب مسدسه إلى ظهر
(ممدوح) فتراخت أصابعه حول المسدس ، قبل أن يخر
صريغا .

ولم يضع (ممدوح) الفرصة ، وانتهز فرصة تحول انتباه
الرجلين الآخرين إلى مصدر السهم ، لينقط مسدس القتل في
سرعة ، ثم يقفز متدحرجا على الأرض الترابية في سرعة ، متفاديا
طلقات الرصاص التي أطلقت نحوه ، ثم أطلق رصاصة محكمة ،
استقرت في صدر الرجل ذي المنظار ، فأردته قتيلا .

واستغل (تشومي) الموقف بدوره ، فاستل خنجره من
غمده ، وطعن به الرجل الثالث في ظهره طعنة نجلاء ، ثم استولى
على مدفعه الرشاش ، وانطلق نحو المليونكيتر ، وحاول
(ممدوح) أن يلحق به ، ولكن (تشومي) عاجله بسيل من
الرصاصات ، تفاداه (ممدوح) بالانتطاح أرضا ، فارتسمت
ابتسامة شيطانية على وجه (تشومي) ، وهو يصوب إليه
مدفعه الرشاش ، قائلا :

— سأسحقك هذه المرة ، كما أسحق الحشرة أيها المقدم .
إنها نهايتك .

كأوت أصابع (تشومى) تضغط زناد مدفعه الرشاش ،
ليسحق (ممدوح) حقاً ، لولا أن انطلق فجأة سهم آخر
أصاب ذراعه ، فسقط مدفعه أرضاً ، ورأى ابنة (هوجو)
تتقدم نحوه ، وهى تصوب إليه سهماً آخر ، وتقول فى صرامة :
— السهم الثانى سيقع فى قلبك أيها القاتل الشرير ،
سأنتقم لأبى ، ولكل من أصابهم شرك .

حاجبها (تشومى) نظرتة الحادة الثاقبة ، وهو يقول :
— لن يقتلنى أحد أيها الفتاة .. لن ينطلق سهمك نحوى !
لأنك مستعجزة عن إطلاقه .. إنك ضعيفة !! ضعيفة !!
وأخذ يرذد الكلمة الأخيرة عدة مرات بصوته العميق ، وهو
يتقدم نحو الفتاة بخطوات بطيئة راسخة ، وتحبس (ممدوح)
الفرصة ، فأخذ يزحف على الأرض الترابية فى هدوء وخذر ،
مستللاً أسفل مقدمة الهليكوبتر ، ومستغلاً تركيز (تشومى)
انتباهه على الفتاة ، على حين أخذت يد الفتاة ترتعش ، وتترامح
مع وتر القوس ..

وتراجع (تشومى) فى بقاء ، وظل يحدج الفتاة بنظرتة
المغناطيسية ، وهو ينحى فى بقاء ، ليلتقط مدفعه الرشاش ،
ولكن قبل أن يلتقطه ، قبضت قبضة قوية على معصمه ، وجذبتة

أسفل الهليكوبتر ، وقيل أن يستخدم تأثيره ، انتهالت عليه
لكلمات (ممدوح) بلا رحمة ، فأطاحت بمقاومته ، وأفقدته
وعيه تماماً ..

وأسرعت الفتاة ، التى أفاق من تأثيره المغناطيسى ، تلتقط
قوسها وسهميها ، وتصوب السهم إلى قلبه ، فهتف بها
(ممدوح) ، من خلال أنفاسه اللاهثة :

— كلاً .. إن لدى هذا الرجل الكثير من الأثرار ، التى
يريد الجميع معرفتها ، ولا تريد أن ندفنها معه .. دعى القانون
يقول كلمته ، وأنا واثق أنه سينقم لأبيك انتقاماً عادلاً .

انخرطت الفتاة فى بكاء حار ، وألقت بنفسها على صدر
(ممدوح) ، وهى تقول :

— لم أستطع أن أطيع أوامررك .. لم أذهب إلى منطقة
السد .. لقد غلبتني الرغبة فى الانتقام لوالدى ، فتبعك
للبحث عن (تشومى) وقتله .

أحاط (ممدوح) كفيها فى حنان ، وهو يقول :
— كان ذلك من حسن حظى ، فلولا محبتك فى هذه
اللحظة بالذات ، لأغلقت الخابريات الأسترانية ملفى لديها إلى
الأبد ، ولبقى (تشومى) يمارس ألعابه السحرية فى (إفريقيا)

كلها .. هيا .. ساعديني على شد وثاقه ، ولنضع رباطاً محكمًا
 فوق عييه ، فالشرُّ كله يكمنُ فيها .
 ثم انسم فستطردًا في ارتياح :
 — وليظمن قلبك ، فقد انتهت لغية (اللعنة السوداء)
 إلى الأبد ..



واسرعت الفتاة ، التي أفاقت من تأثيره المغناطيسى ،
 لتغسل فوسها وسهمها ، وتصوّب السهم إلى قلبه ..

١٢ - سرُّ السَّاحِر ...

جلس (مدوح) يتناول كوباً من الشاي ، برفقة السفير المصري ، ومدير العلاقات العامة ، داخل سفارة (مصر) في (ليزبيل) ، وهو يستعد للتوجه إلى المطار بعد ساعات ، لينطلق إلى (القاهرة) ، وقال له السفير مبتهجا :

— لقد وصلتى برفيقه تهنة لك من القاهرة ، وأعتقد أنك تسحقها غاماً .

مدوح :

— شكراً يا سيادة السفير .

السفير المصري :

— هناك أيضاً تعليمات من وزارة الخارجية ، بضرورة حصولي منك على تفاصيل عملية (اللغة السوداء) الكاملة ، قبل المؤتمر الصحفي الذي سأعقد به برفقة وزير خارجية (الجايون) في هذا الشأن غداً .

مدوح :

— لقد ذكرت جميع التفاصيل في تقرير من نسختين ، سأسلم إحداهما إلى رئيسي غداً في الإدارة ، وسأترك لسيادتك الثانية ، أما إذا أردت مني أن ألخص لك الأمر بصفة عامة ، فهو يتعلق في أن دولة (استرتان) المعادية ، أرادت إسناد مشروع سد (كاتون) إلى حكومتها ، وإبعاد الحكومة المصرية عن الاسهام في بناء هذا الصرخ الضخم ، وهي تهدف من وراء ذلك إلى تحقيق عدة أهداف :

أولاً : هدف سياسي ، يتمثل في الضَّلَل إلى القارة الإفريقية ، والسيطرة على مشاريعها القوية ، بدءاً بسد (كاتون) ، وتقليص دور (مصر) بالثاني في (الجايون) .

ثانياً : هدف اقتصادي ، يتمثل في التقيب عن الذهب ، الذي قيل إنه يتوافر بكميات ضخمة ، في كهوف المنطقة ، التي سيقام فيها المشروع ، وتهريبه إلى (استرتان) .

ثالثاً : هدف سرّي ، ويتمثل في تجنيد عدد من العملاء والجواسيس ، من رجال (استرتان) ، ضمن العاملين في السد ، وبذلك تكون (الجايون) هي قاعدة التجسس على القارة الإفريقية .

بإستخدام بعض الوسائل التكنولوجية الحديثة ، لإرتكاب عدد من الجرائم الغامضة ، والأحداث التي تبدو لمن يراها كظواهر خارقة للطبيعة ، مما يدفعهم إلى ربطها بخرافة (اللغة السوداء) ، التي حذرهم منها (تشومى) ، مثل تلك الماسة الزرقاء المثألفة ، التي تتحول إلى كرة لعب ، والتي ليست سوى لعبة إلكترونية ، يتم توجيهها عن بعد بإستخدام جهاز تحكم آلى (ريموت كنترول) ، وكذلك النيران الممنوعة ، الذى استخدم مرة فى فيلم من أفلام الخيال العلمى ، والذى يتم التحكم فيه آليا أيضا ..

أما بالنسبة للقردة المنوحشة ، فلقد أثاروها بغاز مثير للأعصاب ، بعد جلبها فى حالة تخدير إلى المكان ، حيث بدت وكأنها تهاجم بناء على أمر الزنحى .

قاطعه السفر .. متأنلا :

— ولكن ما تفسير شعورك بالاختناق والإعياء ، حينما ذهبت لمقابلة (تشومى) فى فيلته ؟
 اسم (ممدوح) ، قائلا :

— لقد اعترف (تشومى) فى أثناء التحقيقات ، بأنه كان قد أمر بعض عماله فى الفندق ، بدين مسائل معين فى الشراب

ولكن حكومة (الجايون) أطاحت بكل هذا ، عندما أسندت مشروع السد إلى الخبراء المصريين ، مما دعا مخبرات (أسترن) إلى الاستعانة بعملها (تشومى) ، ذى النفوذ والقدرة على التأثير ، بفعل شهرته كساحر له قدرات خارقة ..
 ولقد كان (تشومى) عبلا للمخابرات الأسترالية . منذ زمن بعيد ، وبالتحديد منذ كان يدرس فى (باريس) ، حيث تم تخييده هناك ، وهذا هو الجانب المجهول من حياة الساحر (تشومى) ، والذى لم يكن فى قدرته التباهى به وإبرازه ، كما يتباهى بجهونه الأخرى ..

وكان الدور المطلوب من (تشومى) ، فى هذه العملية ، هو الترويج لأسطورة (اللغة السوداء) ، مستغلا القالة التي أحاطوا بها ، كساحر ومتمسك بقدر ، وعلى الرغم من أن هذه الخرافة لم تجد قبولا لدى حكومة (الجايون) ، إلا أنها أحدثت أثرا كبيرا فى نفوس الأهالى ورجال القبائل ، وفقا لمعتقداتهم السائدة ، وتأثيرهم بالسحرة والشعوذين ..

ولما وجد رجال المخابرات الأسترالية إصرار الحكومة الجايونية ، على إسناد مشروع السد إلى الخبراء والقنيين المصريين ، بدعوا يؤكدون خرافة (اللغة السوداء) ،

الذي قاله هناك ، ليحدث في ذلك الأثر ، حينما أكون في
حديقة فيلته ، وكان يهدف إلى إقناعي بأنه صاحب ذلك
التأثير ؟ ليرهنى ، ويقنعني بقدراته .

سأله الصغير :

— هل يعني هذا أن كل ما قيل ، وما تردد عن (تشومي)
مجرد خرافات ومبالغات ؟

ممدوح :

— ليس تمامًا ، فلقد كشف (تشومي) منذ فترة طويلة
موهبه في التوهم المغناطيسي ، واستطاع أن يمس هذه الموهبة
بالهزل والدراسة ، ثم استغلها في خدمة أهدافه ، وإيهام
الآخرين بقدراته كساحر ، بالإضافة إلى الوسائل التكنولوجية ،
التي وفّر لها مخابرات (أسترتان) .

اجسم الصغير ، قائلاً :

— لقد وقع الأسترتانيون في شر أعبائهم ، فإذاعة تفاصيل
هذا المخطط ستكون بمثابة فضيحة دولية لهم ، إذ ستكشف
أساليبهم الدنيئة في خداع الشعوب ، وستفضي على ثقة المجتمع
الدولي بهم .

ممدوح :

— أتعلم أن تؤدي محاكمة (تشومي) أيضًا إلى القضاء
على هذه الخرافات ، التي تملأ القارة الإفريقية في زمننا هذا .
الصغير :

— سأتركك الآن ، كي تستعد للذهاب إلى المطار ،
وأحب أن أطمئنك بشأن ابنة (هوجو) ، فلقد تم تعيينها في
السفارة المصرية ، وستكون تحت رعايتنا ، بحسب وصايتك .
ممدوح :

— أشكرك يا سيادة الصغير .

ونحن استعدادًا لمعادرة السفارة إلى المطار ، وبينما كان يخط
من درجات السلم ، وجد ابنة (هوجو) تسرع إليه ،
وتصافحه قائلة :

— مستر (ممدوح) .. هل تسمح لي بأن أقدم لك هذه
الهدية قبل سفرك ؟ .. إنها ستحفظك من الشرور .

اتسم (ممدوح) ، وهو يتناولها من يدها ، قائلاً :

— سأحفظها كتذكّار فحسب ، وينبغي أن تعلمي من
الآن أن اتقاهم ، وطرق السحر ، والخزعبلات لا تقضي على
الشر والأشرار .

ضحكت الفتاة ، قائلة :

— لقد تعلّمت ذلك بالفعل ... تعلّمت أن القضاء على
الشر يحتاج إلى رجال فهم شجاعتك وإخلاصك يا مسر
(ممدوح) .

اتسم (ممدوح) ، ورثت على كنفها ، ثم انجبه إلى سيرة
السفارة التي تنظره ، لنقله إلى المطار ، ولوح له الصغير والفتاة
بأيديهما ، قبل أن يبدأ رحلته إلى « القاهرة » ، بعيدا عن تلك
الأرض ، التي شهدت تحطّم أسطورة (اللعنة السوداء) .

[تمت بحمد الله]

المطبعة العربية الحديثة
٨ شارع ١٧ منطقة الصحافة بالعاصمة
القاهرة - بطون ٢٢٢٢/٥٠

ولم الإبداع : ٣٦٢٠

المؤلف



أ. شريف شوق

اللعنة السوداء

وتصيّب منه العرق غريزاً ، على الرغم
من القسوة التي التابت ذراعه ، وبدأ له
وتكان قوى حفية لجبره على فتح أصابع يده
العاجزة ، لتسقط منها الحربة إلى الأرض .

إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)
سلسلة روايات
بوليسية للكتاب
من الخيال العلمي

العدد القادم

العميل الهارب

